مِنهاجُ النَّجاة

في بيانِ العِلمِ الواجبِ على كُلِّ مُسلِمٍ ومُسلِمة

تأليف
الحكيم المحقّق والفيلسوف محمّد محسن المعروف
بـ "الفيض الكاشاني"
"١٠٠٧-١٠٩١ هـ"

الدار الإسلامية
بيروت

حقّقه وقدّم له
الأستاذ غالب حسن

منهاج النجاة

طبعة جديدة منقحة

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف/٨١٦٦٢٧ / ص.ب / ١٤/٥٦٨٠
فرع حارة حريك - مفرق الحلباوي
هاتف ٨٣٥٦٧٠

منهاج النجاة

في بيان العلم الواجب على كلّ مسلم ومسلمة

تأليف

الحكيم المحقق والفيلسوف محمد محسن المعروف بـ

الفيض الكاشاني

١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ

حققه وقدم له الأستاذ

غالب حسن

الدار الإسلامية

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كلمة عن الكتاب والكاتب)

« منهاج النجاة » أثر قيم تركته يد المولى المحدث محمد بن المرتضى شاه ، المشتهر بالملا محسن الكاشاني ، وقد جادت به مكارمه الفياضة استجابة لطلب أخوة له في الله ، لغرض التزود من علم الشريعة الغراء، وبغية الاغتراف من روحها المباركة ، وقد جاء ـ والحق يقال ـ وافياً بالهدف منسجماً مع الغاية على أحسن حال .

والكتاب في مجموعه لا يخرج عن كونه اختصارا شديدا لموسوعته العرفانية « المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء » حتى أنك لتستطيع أن تستخرج جميع أحاديثه وآياته وقصصه وأشعاره ، من ذلك السفر القيم .

ولم يكن ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب غريباً عما عرف عنه في المنهج أو الأسلوب وفي المعتقد أو الذوق ، ولذا كان على منوال تآليفه ووتيرة تصانيفه . فقد أعتمد في كل شاردة وواردة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله ، جاعلاً منهما ميزان الأخذ والرد، ومعيار الحق والباطل، ومفترق التحسين والتقبيح ، لا يحيد عن ذلك قيد شعرة ، وما عدا ذلك من شواهد القصص والأشعار والوصايا إنما يدرجها على هامش الكتاب والسنة ، وبين هذا وذاك يدرج حجّيّة العقل ولكأنها تستمد شرعيتها من الإقرار الرباني في محكم الكتاب وجوامع الكلم الشريف .

وفي الأسلوب تفنن في رصف الكلمات والجمل وسبك العبائـر البديعـة ، حتى برز الكتاب قطعة رائعـة من الإنشاء الأخـاذ والتعبير الـرائق ، الأمر الـذي يجتذب استرسال أذواقك الفنية ، ويستجمع مراقد اهتماماتك الأدبية . .

ولقد خلا أسلوبه المليح من تكلفـات السجع المصنـوع ، كما هي العـادة في الكثـير من التصـانيف ، وتبـرّأ من ابتـذال الكلمـة عـلى حسـاب الـرصـانـة والقـوة . فجاء نثـره من طائفـة السهل الممتنـع . أمـا أفكـاره التي أودعهـا فهي خلاصة الإسلام ، بدائرة إيمانه ، وسوح عباداته ، وسـواحل أخـلاقه ، عـرضها بطريقة تـربويـة ناجعـة ، يخاطب بهـا العقل ، وينـدس فيها إلى خـوالج النفْس وباحات الخواطر ، فيجد القارىء كل كيانه بين حقـائقه وأرقـامه ، لا يمكنـه أن يمـاري أو يلتوي عـلى جوانب الفكـرة ونداء المـطلوب . وكم هو خبـير بـالنفس وآفاقها ، عنـدما يجعـل القارىء شـارة خطابـه بالمـوعظة والنصيحـة ، بين حث ودعـاء وتشجيع ورجـاء . وفي فرصـة سانحـة ـ يحـين وقتهـا المنـاسب ووضعهـا الملائم ـ يناصحه بتقريع خفيف وزجر مشفق .

أما منهاجه في الطرح ، فقد حرص عـلى التسلسل الـذي يتوالـد في الآثار ويطّرد في العطاء ، خـطوة بعد أخـرى ، فمن العقائـد التي هي أساس البنـاء ، إلى التقوى التي هي ثمرة الإيمـان . وفي هذا العـالم الفسيح ينـدرج فيك ومعـك من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب ، متساوقاً مع القـول بأن محـاسن الأفعال ومحامد السلوك مداخل إلى تهـذيب الجوانـح ، وتلطيف الضمائـر بأجـواء التقى ونسائم الدين ، والعكس بالعكس .

وجهد المصنف أن يركز على جملة من أمهـات المسائـل ، لاتّصالهـا بمكامن الامتحـان ومحكـات الاختبـار ، ولكـونها أقــرب مسالــك الشيـطان إلى قلوب النـاس ، فأشبعهـا عـلاجـاً بـالقـرآن والسنـة والفـطرة ، حتى أوفى بـالمـطلب ، واستجـلى عين الهـدف . ولعل هـذا واضح في مـوضوع الـرزق والرضـا بقضاء

الله ، والتفويض إلى الواحد القهار في المصائب والرزايا وغيرها .

ولم يعدم الاستشهاد بأقوال العلماء وتقريرات المتضلعين ، فازدان الكتاب بحلة الاستمزاج ، وتوشح بأهداب قشيبة ، وتمازج في بوتقة الفكر النيّر ، والتقى على ضفافه مطارح النظر الدقيق .

إن الكتاب ديباجة تضم بين دفتيها زبدة المعتقد الإسلامي الصحيح ، ونفحة الأخلاق الربانية ،وسيجد فيه المؤمن ـ الذي يفتش عما يروي غليله ـ زاد الرضا والاطمئنان ، لما تضمنه الكتاب من عرض شيق لأصول الدين بلغة سلسة وبرهان واضح ومنطق متين . والحق أنه بداية سليمة للتتلمذ على عقائد الإسلام ، وخير صراط إلى أمهات الكتب في العقائد والإيمان .

وإذا كان في الكتاب مادة غنية وثروة فياضة في الفكر العقيدي ، فهو أيضا روضة نفاحة بمصاقل النفس ، يشعر الإنسان من مضامينه وأخلاصه ، بأن أصابع الرحمن تعاهد وجدانه ببردها الروحي وشحذها الإيماني ، لأنه في مجمله عمل متواصل يربطك بالله بأواصر التقرب ، فإذا زاولته تطوعاً ورغبة ، تسامت بك التقوى ورجاء الوصول إلى سناء الرحمة المرتجاة .

ولكن الكتاب لا يخلو في عمومه من مآخذ لا بد أن نسجلها ، كي تكون على علم بالحقيقة ، ووعي من المحذور .

فإن الرجوع إلى كتب الحديث عند أهل الخلاف لا مبرر لها أبدا ، خاصة وبين أيادينا ينابيع الحكمة وبحور الأنوار ، أحاديث أهل بيت العصمة في كل مرمى وكل ميدان ، معدن صدق وعدل وعلم ، يفوح بأنفاس الرسول ، وهي معطرة بوحي الحق . فليس من حجة ولا ذريعة أن يستضيء الإنسان بشبح قائم ، مصدره خداع المصالح والمطامع ، وعلى جنبه نور الله الساطع يفيض بالرحمة والكرامة .

ومما يلفت النظر حقاً هذا الهجوم على متفقهة العصر الذين زاملوا المؤلف ، فليس من أخلاق فقهائنا هذا السلوك الشائن ، وهم تلامذة القرآن ، وقد أطبق الناس من شيعة أمير المؤمنين على توثيقهم وعدالتهم ، ونطقت أفعالهم بسموّ أخلاقهم وزكاة أنفسهم بما قدموه من جهاد بالرؤوس والأموال والمداد .

ولعل سبب ذلك نفاق يذر قرنه بطانات السوء ، ويشيعه هنا وهناك محترفو الفتن والشغب .

ويلوح من المؤلف ترغيب العزلة ، وهو أمر تجافيه روح الشريعة ، وما احتوته من حث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإشاعة الخلق الحسن ، وتوسيع رقعة الإسلام والإيمان .

* * *

تحقيق الكتاب

لقد حققنا هذا الكتاب القيم ونحن نرجو في ذلك أكثر من مغنم ، في مقدمتها تيسير السبيل لأهل الإيمان لمعرفة دينهم بأصوله وعباداته وأخلاقه ، بأسلوب سهل ومضامين وجيزة وبراهين مقنعة ، والكتاب يؤدي هذه المهمة بجدارة فائقة النظير . كما أن إخراجه من السواد إلى البياض يعتبر مساهمة ـ ولو متواضعة ـ باستخراج كنوز علمائنا ، وما أكثرها ، ولكنها مطمورة تحت ركام الإهمال والنسيان . ولا يغيبن عن الأذهان أن ذلك خير وسيلة للتعريف بأساطين الشريعة من علماء الشيعة ، وأحسن دليل يكشف عن خدماتهم للدين والإنسانية .

وكان عملنا في التحقيق بإنجاز ما يلي :

١ ـ إخراج الشواهد القرآنية .

٢ ـ إخراج الأحاديث النبوية من مصادرها ، إما مباشرة أو بالواسطة على النادر .

٣ ـ تصحيح الأحاديث النبوية بالرجوع إلى مصادرها الأصلية .

٤ ـ منهجة الكتاب وتنظيمه .

٥ ـ فهرسة مواضيعه على وجه التفصيل .

هذا بالإضافة إلى تعريف عام بمحاسن الكتاب ، مع الإشارة إلى بعض المؤاخذات ، وترجمة مفيدة للمؤلف رحمه الله .

ترجمة المؤلف

المؤلف هو محمد بن مرتضى شاه ، الشهير بملا محسن الكاشاني[١] والمعروف بالفيض[٢] أحد نوابغ العلم في القرن الحادي عشر[٣] كانت ولادته في بلدة « قم » ثم ارتحل إلى « كاشان » لطلب العلم[٤] ثم إلى شيراز بغية أخذ العلم على يد العالم الكبير السيد ماجد البحراني الصادقي ، والمولى العظيم صدر المتألهين الشيرازي[٥] . وكان ختناً للأخير كما أن الفيض ختن له على ابنته الكبرى[٦] .

أبوه الشاه مرتضى كان من العلماء الصّدور ، وصاحب خزانة كتب وفضل مشهور ، وكذا أخوه محمد المعروف بنور الدين الكاشاني وكذا أخوه

---

(١) سلافة العصر ص ٤٩١ .
(٢) الكنى والألقاب ج ٣ ص ٣٩ .
(٣) المحجة ج ١ ص ٢٢ .
(٤) المحجة ج ١ ص ٢٢ .
(٥) روضات الجنات ج ٦ ص ٩٣ .
(٦) الكنى والألقاب ج ٣ ص ٤١ .

عبد الغفور بن شاه[1] توفي سنة ١٠٩١ وهو ابن أربع وثمانين[2] وكانت وفاته في كاشان ودفن بها[3] . ومرقده الشريف معروف بالكرامة والمقامة في دار المؤمنين ، موئلاً للزائرين والعاكفين[4] . وقد كان فيها مرجعاً مشهوراً[5] .

أشياخه والرواة عنه :

يروي عن جماعة من المشايخ وأساتيذ الدين منهم : ـ

١ ـ الشيخ البهائي : محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي .

٢ ـ المولى محمد صالح شارح الكافي .

٣ ـ المولى القمي : محمد طاهر بن محمد حسين .

٤ ـ السيد ماجد السيد هاشم البحراني .

٥ ـ المتأله محمد بن إبراهيم الشيرازي المشهور بالمولى صدرا .

ولقد ذكر بعضهم الشيخ عباس القمي في ترجمته له بكتابه الكنى والألقاب ج ٣ ص (٣٩ ـ ٤١) .

ويروي عنه جملة من تلاميذه ومريديه منهم : ـ

١ ـ العلامة المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار ، وقد ذكره في قسم الإجازات .

---

(١) الروضات ج ٦ ص ٧٩ .
(٢) مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٤٢١ .
(٣) الكنى والألقاب ج ٣ ص ٤١ .
(٤) الروضات ج ٦ ص ٧٩ .
(٥) المحجة ج ١ ص ٢٢ .

٢ ـ ولده علم الهدى ، وله غديرية معروفة ذكرها الأميني في غديره ج ١١ ص ٣٦٢ .

٣ ـ السيد نعمة الله الجزائري الشوشتري .

الثناء عليه :

قال صاحب جامع الرواة : « محمد بن المرتضى الكاشاني رحمه الله تعالى ، العلامة المحقق المدقق ، جليل القدر ، عظيم الشأن ، رفيع المنزلة ، فاضل كامل ، أديب متبحر في جميع العلوم ، له قريباً من مائة تأليفات »[١] .

وجاء في سلافة العصر : « المولى العلامة محمد بن المرتضى شاه الشهير بملا محسن الكاشاني ، له كتب ومصنفات جليلة في الفقه والحديث والكلام والحكمة »[٢] .

وفي روضات الجنات : « . . . وأمره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والأصول ، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول ، وكثرة التأليف والتصنيف مع جودة التعبير والترصيف ، أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد »[٣] .

وفي مستدرك الوسائل : « من مشايخ العلامة المجلسي ، العالم الفاضل المتبحر المتحدث العارف الحكيم المولى محسن بن المرتضى شاه »[٤] .

وفي الكنى والألقاب : « . . . العالم الفاضل الكامل العارف المتحدث

---

(١) جامع الرواة ج ٢ ص ٤٢ .
(٢) السلافة ص ٤٩١ .
(٣) الروضات ج ٦ ص ٧٩ .
(٤) المستدرك ص ٤٢١ .

المحقق المدقق الحكيم المتأله محمد بن المرتضى ، المدعو بالمولى محسن الكاشاني ، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة »[1] .

أهم تصانيفه :

ذكر منها صاحب تنقيح المقال[2] :

تفسير الصافي ، كتاب الوافي ، كتاب الشافي ، ملخص الصافي ، المحجة البيضاء في أحياء [تهذيب الأحياء] ، كتاب الحقائق ، كتاب مفاتيح الشرائع ، كتاب علم اليقين ، كتاب عين اليقين .

وأضاف إليها صاحب الكنى والألقاب[3] : النخبة ، خلاصة الأذكار ، بشارة الشيعة . ولقد ذكرها جميعا الشيخ يوسف البحراني في كتابه لؤلؤة البحرين[4] .

---

(١) ج ٣ ص ٣٩ .
(٢) ج ٢ ص ٥٤ تحت رقم ١٠١٩٤ .
(٣) ج ٣ ص ٣٩ .
(٤) ص ١٢٥ .

مقدمة المصنف (ره)

الحمد لله الذي هدانا للدين القويم والنهج المستقيم ، والصلاة على من بعثه بالملة البيضاء والحنيفية السهلة السمحاء ، وعلى آله هداة الناس والمطهرين من الأرجاس .

وبعد :

فيقول خادم العلوم الدينية ، وراصد الحقائق الشرعية ، محمد بن المرتضى المدعو بمحسن أحسن الله حاله ، وجعل إلى الرفيق الأعلى مآله : هذا كتاب منهاج النجاة ، بينت فيه العلم الذي تتوقف عليه النجاة في الآخرة ، وطلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، كما ورد في السنة الطاهرة ، وأشرت إلى بعض ما يوجب الفوز بالدرجات الفاخرة . كتبته لالتماس بعض الإخوان ، نفعه الله به وبسائر المؤمنين .

الإيمان والتقوى :

اعلم أن خير هاد إلى الله عز وجل نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، ثم من بعده « متروكاه وخليفتاه الثقلان : كتاب الله عز وجل وعترته أهل بيته ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليه حوضه ، فمن تمسك بهما لن يضل ولن يزل ، ومن طلب الهدى من غيرهما يزل ويضل ، ومن جعلهما أمامه قاداه إلى الجنة ،

ومن جعلها خلفه ساقاه إلى النار »[1] .

وإن النجاة في العقبى موقوفة على الإيمان والتقوى ، وكل من الخصلتين مرتبطة بالأخرى ، معتضدة بها ، والإيمان أشرفها وأعظمها وأقدمها رتبة ، لكن لا عاقبة إلا للتقوى ، ولا هدى إلا للمتقين ، والإيمان عبارة عن الاعتقاد بالأركان الخمسة التي هي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد . والتقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه . ولها ظاهر وهو تقوى الجوارح بفعل الطاعات الظاهرة والكف عن المعاصي الواضحة الفاضحة ، وباطن وهو تقوى القلوب بالتخلي عن مساوىء الأخلاق والتحلي بمكارمها .

فالإيمان علم واعتقاد ، والتقوى عمل وسداد ، فهما مقصدان ، وفي كل منهما أبواب ، وبالله التوفيق .

* * *

(١) البحار ، ج ٣ ، ص ١٠٤ ـ ١٦٦ فضائل أهل البيت والنص عليهم ، ولقد نص على ذلك أحمد في مسنده .

المقصد الأول
في الاعتقادات

١ - باب التوحيد

الدليل على وجود الله :

سئل مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : بماذا عرفت ربك ؟!

قال عليه السلام : « بفسخ العزائم ونقض الهمم ، لما هممت فحيل بيني وبين همي ، وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي عرفت أن المدبر غيري »[١] . ومثله عن مولانا الصادق عليه السلام . وقيل لمولانا أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام : ما الدليل على حدوث العالم ؟ قال عليه السلام : « إنك لم تكن ثم كنت ، وقد علمت أنك لم تكن نفسك ، ولا كوّنك من هو مثلك »[٢] .

وفي القرآن الكريم : ﴿ أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾[٣] ،

---

(١) التوحيد ص ٢٠٩ .
(٢) البحار ، ج ٣ ، ص ٣٦ ، حديث رقم ١١ .
(٣) إبراهيم : ١٠ .

وما أحسن ما قال أعرابي : « البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام على المسير ، فالسماء ذات أبراج والأرض ذات فجاج ، أما تدلان على الصانع اللطيف الخبير »[1] ؟ وسئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله فقال للسائل : « هل ركبت سفينة قط ؟! قال : بلى ، قال عليه السلام : هل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك ؟ قال : بلى ، قال عليه السلام : فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك ؟! قال : بلى ، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله تعالى القادر على الإنجاء حيث لا منجي ، وعلى الإغاثة حين لا مغيث »[2] .

الدليل على وحدانية الله :

وهو الله سبحانه واحد لا شريك له ، إذ لو كان معه إله ﴿**لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**﴾[3] كذا قال عز وجل ، يعني لو تعدد لتميز صنع بعضهم عن بعض ، فيستبد كل بملكه ، ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا .

وسئل مولانا الصادق عليه السلام : ما الدليل على أن الله تبارك وتعالى واحد ؟! قال :

---

(١) مثل مشهور وينسبه بعضهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام .
(٢) البحار ، ج ٣ ، ص ٤١ ، حديث ١٦ .
(٣) المؤمنون : ٩١ .

« اتصال التدبير وتمام الصنع ، كما قال عز وجل : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾[1] » .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده في ملكه أحد ، ولا يزول أبداً »[2] .

وفي القرآن المجيد : ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو** ﴾[3] . وقال الله تعالى : ﴿ **لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإيّاي فارهبون** ﴾[4]. ﴿ **قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً*سبحانه وتعالى عما يقولون** ﴾[5] .

صفاته تعالى :

وهو الله تعالى أحد لا يجزأ ، وكيف لا ولو تجزأ لكان محتاجاً ، فإن كل ذي جزء فإنما هو بجزئه يتقوم ، وبتحققه يتحقق ، وإليه يفتقر ، وهو الله عز وجل غنيّ عن العالمين ، وأيضا لو كان ذا جزء لكان جزؤه متقدماً عليه ، فيكون الجزء أولى بأنِ يكون إلهاً منه ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وهو الله عز وجل فرد لا ندّ له ، ولا نظير له ، صمد لا شبه له ولا

---

(١) البحار ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ ، حديث ١٩ .
(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٩٦ .
(٣) البقرة : ١٦٣ .
(٤) النحل : ٥١ .
(٥) الإسراء : ٤٢ ، ٤٣ .

وزير ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[1] ، لأن المساواة في الرتبة نقصان في الكمال ، والاستعانة بالغير مع استلزامها العجز معرضة للزوال ، وبهذا يستبين أن له سبحانه سائر صفات الكمال من دون استفادة ولا كلالة[2] ، لأن النقص والعجز والفاقة لا تليق بالربّ المتعال .

فهو سبحانه سميع بغير أصميخة وأذن ، بصير لا بحدقة وأجفان ، كما يفعل بلا جارحة ، ويتكلم بغير لسان ، لا يحجب سمعه بُعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، ولا يعزب عن علمه مسموع وإن خفي ، ولا مبصر وإن دق ، فيسمع السر والنجوى ، ويشاهد ما تحت الثرى ، ويعلم حركة الذر في الهواء ، ودبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، بل ما هو أدق من ذلك وأخفى .

﴿ وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴾[3] .

﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾[4] .

﴿ ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾[5] .

﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾[6] .

---

(١) الشورى : ١١ .

(٢) أي : (ما لم يكن والد ولا ولد) معاني الأخبار ص ٢٥٨ .

(٣) يونس : ٦١ .

(٤) الحديد : ٤ .

(٥) الأنعام : ٥٩ .

(٦) فصلت : ٤٧ .

﴿ .. يعلم ما تحمل كلّ أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ، ومن هو مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار ﴾(١) .

يطّلع على ما هو في الضمائر وحركات الخواطر، لا يجري في الملك والملكوت شيء إلا وعنده خبره .

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾(٢) .

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾(٣) .

﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ﴾(٤) .

قال عز وجل : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾(٥) .

وفي الحديث : « ولو أنكم أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله »(٦) .

وفي القرآن : ﴿ فأينما تولوا فثمّ وجه الله إن الله واسع عليم ﴾(٧) .

وهو جل ذكره فعال لما يشاء كيف يشاء ، قدير على ما يشاء ، مريد

(١) الرعد : ٨ ، ٩ ، ١٠ .
(٢) طه : ١١٠ .
(٣) الملك : ١٤ .
(٤) المجادلة : ٧ .
(٥) البقرة : ١٨٦ .
(٦) لم أجد له مصدراً .
(٧) البقرة : ١١٥ .

للكائنات ، مدبر للحادثات ، فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير ، صغير ولا كبير ، إلا بقضائه وقدره ومشيئته ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو المبدىء والمعيد ، الفعال لما يريد ، لا رادّ لحكمه ، ولا معقب لقضائه ، ولا حول عن معصيته إلا بتوفيقه ، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته وإرادته ﴿ **وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله** ﴾[1] .

وهو عز اسمه ، قديم لم يزل ، باق ولا يزال ، وحي لا يموت ، وقيّوم لا يفوته شيء ﴿ **لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾[2] ، ﴿ **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾[3] . لا تبلغه العقول والأفكار ، ولا تدركه البصائر والأبصار ، تنزهت ذاته عن الأمكنة والجهات ، وتقدس وجوده عن الأزمنة والحركات ، وتعالى عن الاتحاد والحلول ، وتبارك عن التغير والأفول . سرمديّ ليس له مضادّ ، وحق بحت لا يتطرق إليه بطلان ولا فساد . كذلك الله ربنا ، إذ لو كان بخلاف ذلك ، فهو إما ناقص أو عاجز أو محتاج ، سبحان الله عما يقولون .

* * *

---

(١) الإنسان : ٣٠ .

(٢) البقرة : ٢٥٥ .

(٣) الإخلاص : ٣ ، ٤ .

٢ ـ باب العدل

الله سبحانه لا يفعل القبيح :

إن الله سبحانه لا يفعل القبيح لأنه ـ جلّ وعز ـ عالم بقبحه ، قادر على تركه ، غير محتاج إلى فعله ، كيف ولو فعل القبيح لارتفع الوثوق بوعده ووعيده ـ وأنبيائه ورسله ، تعالى وتقدس عن ذلك ، فما ربك بظلام للعبيد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولن يخلف الله وعده ، وكل ما يفعله فإنما يفعله لغرض وحكمة ومصلحة ، وإن كان ـ جلّ اسمه ـ غنياً عن العالمين .

لا يحتج على العباد إلا بما عرفهم :

وإذ لا يفعل الظلم والقبيح ، فما حجب علمه عن العباد فهو موضوع عنهم ، فلا يحتجّ عليهم إلا بما آتاهم وعرّفهم ، كما قال جل ذكره :

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾[١] .

﴿ . . . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . . ﴾[٢] .

---

(١) الإسراء : ١٥ .

(٢) النساء : ١٦٥ .

فيقولوا : ﴿ **لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك** ﴾[1] .

﴿ **وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ . قال الصادق عليه السلام : « يعني حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه »[2] .

وقال عليه السلام في قوله عز وجل : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ : «بيّن لها ما تأبى وتترك »[3] ، وفي قوله : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾: « عرّفناه إما آخذاً وإما تاركاً ، وهديناه النجدين : نجد الخير ونجد الشر »[4] .

لا جبر ولا تفويض :

إن الله عز وجل أرحم بخلقه من أن يجبرهم على الذنوب ، ثم يعذبهم عليها ، كما قال سبحانه : ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلّام للعبيد** ﴾[5] . وهو جل جلاله عز عن أن يريد أمراً فلا يكون ، كما قال عز وجل : ﴿ **وما تشاءون إلّا أن يشاء الله** ﴾[6] . فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين . كما قال مولانا عليه السلام . قال : « مثل ذلك : رجل رأيته على معصيته فنهيته فلم ينته ، فتركته ففعل تلك المعصية ، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية »[7] .

---

(١) طه : ١٣٤ .
(٢) أصول الكافي ، ج ١ ص ١٦٣ ، حديث ٣ .
(٣) ن . م .
(٤) ن . م .
(٥) آل عمران : ١٨٢ .
(٦) التكوير : ٢٩ .
(٧) أصول الكافي ج ١ ص ١٦٠ ، ح ١٣ .

وقال الرضا عليه السلام : « إن الله عز وجل لم يطع بالإكراه ولم يعص بغلبة ، ولم يهمل العباد في ملكه ، وهو المالك لما ملّكهم والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يمل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم »(١) .

وقال الباقر عليه السلام : « في التوراة مكتوب : يا موسى إني خلقتك واصطفيتك وقويتك ، وأمرتك بطاعتي ، ونهيتك عن معصيتي ، فإن أطعتني أعنتك على طاعتي ، وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي ، ولي المنة عليك في طاعتي ، ولي الحجة عليك في معصيتك لي »(٢) .

وقال الصادق عليه السلام : « إن الناس في القدر على ثلاثة أوجه . رجل يزعم أن الله عز وجل أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله في حكمه فهو كافر ، ورجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فهذا قد رهن الله في سلطانه فهو كافر ، ورجل يقول : إن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون ، وإذا أحسن حمد الله ، وإذا أساء استغفر الله فهو مسلم بالغ »(٣) .

تنبيه :

الكلام في القدر منهي عنه وهو سر من أسرار الله . قال الصادق عليه السلام : « إن الله عز وجل إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم

(١) التوحيد ، ص ٢٦٠ .
(٢) البحار ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ ، ح ٥ .
(٣) البحار ، ج ٥ ص ٩ ، ح ١٤ .

ولم يسألهم عما قضى عليهم »[1] . وسئل عن الرقي ، هل يدفع من القدر شيئاً ؟ فقال : « هي من القدر »[2] .

يفعل الله بعباده الأصلح :

إن الله عز وجل لا يفعل بعباده إلا ما هو الأصلح لهم ، لأنه سبحانه لطيف بعباده ، رؤوف بهم ، وهو العزيز الحكيم .

قال الله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾[3] . وفي الحديث القدسي : « وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة ، فأكفه عنه ، لئلا يدخله العجب فيفسده ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ، وإن من عبادي لمن لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو صححت جسمه لأفسده ذلك ، وإن من عبادي لمن لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ، ذلك وإني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم فإني عليم خبير »[4] . وفيما أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام : « إني يا موسى ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدي المؤمن ، إنما أبتليه لما هو خير له ، وأعافيه لما هو خير له ، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر عبدي ، فليصبر على بلائي ، وليشكر على نعمائي ، وليرض بقضائي ، أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري »[5] .

---

(١) البحار ج ٥ ، ص ١٢٢ ، ح ١٢٢ .
(٢) البحار ، ج ٥ ص ٩٨ ، ح ٢٤ .
(٣) البقرة : ١٨٥ .
(٤) التوحيد : ٢٨٨ .
(٥) التوحيد : ٢٩٢ .

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها :

إن الله عز وجل لم يكلف عباده إلا دون ما يطيقون كما قال : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها** ﴾[1] . والوسع دون الطاقة ، ألا ترى أنه كلفهم في يوم وليلة خمس صلوات ، وكلفهم في السنة صيام ثلاثين يوماً ، وكلفهم في مائتي درهم خمسة دراهم ، وكلفهم حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك ؟! كذا قال مولانا الصادق عليه السلام .

كل يوم هو في شأن :

إن الله عز وجل لم يفرغ عن الأمر ، كما زعمته اليهود ، بل ﴿ **كلَّ يوم هو في شأن** ﴾[2] ، يخلق ويرزق ويفعل ما يشاء ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾[3] ، ولا يمحو إلا ما كان ، ولا يثبت إلا ما لم يكن ، وإلا لبطل الدعاء والدواء والصدقة وغيرها ، وليس له بداء ندامة ، تعالى الله عن ذلك .

قال الصادق عليه السلام : « ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه الإقرار له بالعبودية ، وخلع الأنداد ، وأن الله عز وجل لم يبد له من جهل »[5] ، وقال : « ما بدا لله في شيء إلا وكان في علمه قبل أن يبدو له »[6] . وقال مولانا الباقر عليه السلام : « العلم علمان : فعلم عند الله مخزون لم يطلع

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .
(٢) الرحمن : ٢٩ .
(٣) الرعد : ٣٩ .
(٤) أصول الكافي ، ج ١ ص ١٤٧ ، ح ٣ .
(٥) ن . م ص ١٤٨ ، ح ١٠ .
(٦) ن . م ص ١٤٨ ، ح ٩ .

عليـه أحداً من خلقـه ، وعلم علّمه مـلائكته ورسله ، فـإنه سيكـون لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله ، وعلم عنده مخزون يقدم منـه ما يشـاء ويؤخر منـه ما يشاء ويثبت ما يشاء »[1] .

* * *

(١) ن . م ، ص ١٤٧ ، ح ٦ .

٣ ـ باب النبوة

الدليل على الأنبياء :

لما ثبت أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق ، ولم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه ، ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ، وهم وسائط بينه وبينهم ، أسماع من جانب وألسنة إلى آخر . يأخذون من الله ويعطونه الخلق ، يتعلمون من لدنه ويعلّمون الناس ، من عنده إلى مصالحهم ومنافعهم ، وما به بقاؤهم ، وفي تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم والعليم في خلقه ، وهم الأنبياء وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدبون بالحكمة مبعوثون بها ، غير مشاركي الناس في شيء من أحوالهم ، وإن شاركوهم في الخلق والتكيف ، لئلا يبعدّوا عنهم كل البعد ، بل يناسبوهم بعض المناسبة ، ويأنسوا بهم بعض الأنس ، كما قال عز وجل : ﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾[1] .

الحاجة إلى الأنبياء مع المعجزة :

ولا بد من تخصيصهم بآيات من الله سبحانه ، وأدلة على شريعتهم من

(١) الأنعام : ٩ .

عند ربهم العالم القادر ، الغافر المنتقم ، ليخضع الناس لهم ، ويلزم لمن وقف لها أن يقر بتقدمهم ورئاستهم ، وهي المعجزة . وكما لا بد في العناية الإلهية لنظام العالم من المطر ، لم تقصر عن إرسال السماء مدرارا لحاجة الخلق ، فنظام العالم لا يستغني عمن يعرفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة .

نعم من لم يهمل إنبات الشعر على الحاجبين للزينة لا للضرورة ، وكذا تقصير الأخمص في القدمين ، كيف أهمل وجود رحمة للعالمين ، مع ما في ذلك من النفع العاجل والخير الآجل ، أم من لم يترك الجوارح والحواس حتى جعل لها رئيساً يصحح الصحيح ويتيقن منه ما شكت فيه وهو الروح ، كيف يترك الخلائق كلهم في حيرتهم وشكهم وضلالتهم ، لا يقيم لهم هادياً يردون إليه شكهم وحيرتهم .

قال الله تعالى : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** ﴾(1) .

وقال الله عز وجل : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾(2) .

صفات النبي (ص) :

يجب أن يكون النبي صلى الله عليه وآله منزهاً عن كل ما يدنسه ويشينه ، من الغلظة والفظاظة وسوء الخلق ، والحسد والبخل ، ودناءة الآباء وعهر الأمهات ، والأنوثة والخنوثة ، والعمى والعرج وما شابه ذلك .

---

(1) الحديد : ٢٥ .

(2) الجمعة : ٢ .

العصمة :

وأن يكون معصوماً من الذنوب ، محفوظاً عن الكبائر والصغائر ، عمداً وسهواً ، كل ذلك لئلا تتنفر عنه الطباع ، بل تطيعه طوعاً ورغبة ، وكيف يذنب النبي ؟! وأصول الذنوب محصورة في أربعة :

الحرص والحسد والغضب والشهوة .

فلا يجوز أن يكون حسوداً ، لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد .

ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا ، إلا بأن يكون غضبه لله تعالى في إقامة الحدود ونحوها .

ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة ، لأن الله عز وجل حبب إليه الآخرة ، كما فوض إليه الدنيا ، فهو ينظر إلى الآخرة كما ينظر إلى الدنيا ، فهل رأيت أحداً يؤخر وجهاً حسناً لوجه قبيح ، وطعاماً طيباً لطعام خبيث ، وثوباً لينا لثوب خشن ، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية ؟ كذا قال هشام بن الحكم(١) من أصحابنا في عصمة الإمام عليه السلام ، وكل ما ورد في القرآن والحديث من نسبة الذنوب إلى الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، فهو مؤول ، كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في نصوص مستفيضة ، وأنهم عليهم السلام لما كانوا مستغرقين في طاعة الله تعالى ، فإن اشتغلوا عن ذلك أحياناً ببعض المباحات زيادة على الضرورة ، عدّوا ذلك ذنباً في حقهم عليهم السلام ، هكذا ينبغي أن يعتقد في المصطفين الأخيار سلام الله

---

(١) معاني الأخبار . ص (١٣٠ ـ ١٣١) ، وقد أورده الصدوق في الاستدلال على عصمة الإمام بالأصل عن هشام بن الحكم .

عليهم .

منازل الأنبياء :

الأنبياء أفضل من الملائكة ، ولهذا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام . قال الله عز وجل : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾[١] ، وقال نبينا صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « يا علي ، إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين ، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك ، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا »[٢] الحديث .

عدد الأنبياء :

وعدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً . وعدد أوصيائهم كذلك . إذ لكل نبي وصي أوصى إليه بأمر الله عز وجل . وأمرهم أمر الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، وإنهم لم ينطقوا إلا عن الله ووحيه .

أولو العزم :

وسادتهم خمسة ، وهم الذين عليهم دارت الرحى ، وهم أصحاب الشرائع . وأولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وآله ، وهو سيدهم وأفضلهم وخاتمهم ، لا نبي بعده ولا تغيير لشريعته ، كما

---

(١) آل عمران : ٣٣ .
(٢) البحار ، ج ٢٦ ، ص ٣٣٥ ، حديث ١ .

قال الله عز وجل : ﴿ **ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾[1] ، ﴿ **جاء بالحق وصدّق المرسلين** ﴾[2] ، ﴿ **فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾[3] .

الأنبياء لنبينا محمد (ص) وآله (ع) :

والله عز وجل لم يخلق خلقاً أفضل من محمد وآله وأوصيائه عليهم السلام ، وإنهم أحب الخلق إليه وأكرمهم عليه وأولهم إقراراً به ، لما أخذ ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ، قال : ﴿ **ألست بربكم ؟ قالوا : بلى** ﴾[4] وإن الله بعثه إلى الأنبياء عليهم السلام في الذر ، كما قال عز وجل : ﴿ **هذا نذير من النذر الأولى** ﴾[5] ، فسائر الأنبياء أمته ، وإنما أعطى كل نبي ما أعطى على قدر معرفته نبينا وسبقه إلى الإقرار به .

وإنما خلق الله جميع ما خلق له ولأهل بيته عليهم السلام ، ولولاهم لما خلق الله السماوات والأرض ، ولا الجنة والنار ، ولا آدم وحواء ، ولا الملائكة ولا شيئاً مما خلق صلوات الله عليهم .

سيرة النبي شاهد نبوته :

لقد أحسن من قال : إن من شاهد أحوال نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، وأصغى إلى سماع أخباره الدالة على أخلاقه وأفعاله وأحواله ، وآدابه

---

(١) الأحزاب : ٤٠

(٢) الصافات : ٣٧ .

(٣) الأعراف : ١٥٧ .

(٤) الأعراف : ١٧٢ .

(٥) النجم : ٥٦ .

وعاداته وسجاياه ، وسياسته لأصناف الخلق ، وهدايته إلى ضبطهم والتأليف بينهم ، وقوده إياهم إلى طاعته ، مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة ، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ، ومحاسن إشاراته في تفصيل مسائل الشرع ، الذي يعجز الفقهاء والفضلاء عن إدراك دقائقه في طول أعمارهم ، لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية ، بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي ، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة على صدقه ، حتى أن العربي القح كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب ، فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله ، فكيف بمن يشاهد أخلاقه ، ويمارسه في جميع مصادره وموارده ؟!

وقد آتاه الله جميع ذلك وهو لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ، ولم يسافر قط في طلب العلم ، ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيماً ضعيفاً مستضعفاً ، فمن أين حصل له ما حصل من محاسن الأخلاق والآداب ، ومعرفة مصالح الفقه ـ مثلا فقط ـ دون غيره من العلوم ، فضلاً عن معرفته بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وغير ذلك من خواص النبوة ، لولا صريح الوحي ، ومن أين لبشر الاستقلال بذلك ، فلو لم يكن له إلا هذه الأمور لكان فيه كفاية .

وقد ظهر من معجزاته وآياته ما لا يستريب فيه محصل ، كانشقاق القمر ، وينبوع الماء من بين أصابعه ، وإطعام الكثير من طعام قليل ، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة .

القرآن الكريم

ومنها القرآن العزيز ، الباقي إلى آخر الدهر ، الذي تحدى به بلغاء الخلق وفصحاء العرب . وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر

سور مثله ، أو بسورة مثله ، إن شكوا ، وقال لهم : ﴿ **لئن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾[1] . وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك ، وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ، ونساءهم وذراريهم للسبي ، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا يقدحوا في جزالته إلا أن قالوا : ﴿ **إن هذا إلا سحر يؤثر** ﴾[2] و ﴿ **سحر مستمرّ** ﴾[3] ونحو ذلك .

أقول : وقد اشتمل القرآن على وجوه كثيرة من الإعجاز غير البلاغة ، وقد ذكرناها في كتابنا المسمى بـ (علم اليقين) مع تفاصيل سائر المعجزات .

عقيدتنا في القرآن الكريم :

القرآن الكريم كلام الله ووحيه وقوله وكتابه : ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[4] وإنه ﴿ **القصص الحق** ﴾[5] و ﴿ **إنه لقول فصل * وما هو بالهزل** ﴾[6] وإن الله تبارك وتعالى محدثه ومنزله وربه وحافظه ، وهو المهيمن على الكتب كلها . وإنه حق من فاتحته إلى خاتمته ، نؤمن بمحكمه ومتشابهه ، وخاصه وعامه ، ووعده ووعيده ، وناسخه ومنسوخه ، وقصصه وأخباره ، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله .

---

(١) الإسراء : ٨٨ .
(٢) المدثر : ٢٤ .
(٣) القمر : ٢ .
(٤) فصلت : ٤٢ .
(٥) آل عمران : ٦٢ .
(٦) الطارق : ١٣ ، ١٤ .

كل ما جاء به النبي (ص) حق :

إن جميع ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله هو الحق المبين الذي لا مرية فيه ، ومن أنكر شيئاً منه بعد إقراره بأنه مما جاء به فقد كفر .

المعراج :

ومنه حكاية المعراج ، كما ذكر الله عز وجل بقوله: ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا** ﴾[1] ، وبقوله عز وجل : ﴿ **ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾[2] . وقد أخبر النبي بعد رجوعه منه بما ظهر منه صدقه وحقيقته .

نبوة محمد (ص) عامة للبشرية :

نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عامة لجميع الناس ، كما قال الله عز وجل : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافّة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾[3] ، بل للجن كما في قوله تعالى : ﴿ **أجيبوا داعي الله وآمنوا به** ﴾[4] حكاية عنهم .

وكما أنه سيد الأنبياء فكذلك أوصياؤه خير الأوصياء ، وكتابه خير الكتب والمهيمن عليها كلها ، ودينه خير الأديان وناسخها ، وأمته خير الأمم

---

(١) الإسراء : ١ .
(٢) النجم : ٨ ، ٩ .
(٣) سبأ : ٢٨ .
(٤) الاحقاف : ٣١ .

وأوسطها ، كما قال عز وجل : ﴿ **وكذلك جعلنـاكم أمّة وسـطاً لتكونـوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[1] .

* * *

(١) البقرة : ١٤٣ .

٤ ـ باب الإمامة

الدليل على الأئمة :

إن ما ذكرناه في بيان الاضطرار إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فهو بعينه جاء في الاضطرار إلى أوصياء الأنبياء ، وخلفائهم الأئمة من بعدهم إلى ظهور نبي آخر ، لأن الاحتياج إليهم غير مختص بوقت دون آخر ، وفي حالة دون أخرى ، ولا يكفي بقاء الكتب والشرائع من دون قيّم لها عالم بها ، ألا ترى إلى الفِرق المختلفة كيف يستندون في مذاهبهم إلى كتاب الله ، لجهلهم بمعانيه وزيغ قلوبهم وتشتت أهوائهم ، فظهر أنه لا بد لكل نبي مرسل بكتاب من عند الله عز وجل ، أن ينصب وصياً يودع فيه (يودعه) أسرار نبوته وأسرار الكتاب المنزل عليه، ويشكف له مبهمه، ليكون ذلك الوصي حجة ذلك النبي على قومه ، ولئلا تتصرف الأمة في ذلك الكتاب بآرائها وعقولها ، فتختلف وتزيغ قلوبها ، كما أخبر الله عز وجل به فقال : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم**

تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾[1] .

فالرسول والإمام والكتاب هم الحجج على الأمة ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيّ عن بينة .

وجود الإمام لطف :

وأيضا وجود الإمام لطف من الله تعالى لعبيده ، إذ بوجوده يجتمع شملهم ويتصل حبلهم ، وينتصف للضعيف من القوي ، وللفقير من الغني ، ويرتدع الجاهل ويتيقظ الغافل . قال الله تعالى : **﴿ ولكل قوم هادٍ ﴾**[2] وقال : **﴿ وإن من أمة إلاّ خلا فيها نذير ﴾**[3] وقال : **﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ﴾**[4] .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي » ، ينفون عن الدين تحريف الغافلين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[5] فإذا تعطل الإمام تعطل أكثر أحكام الدين ، فتنتفي الفائدة المقصودة منها .

وأما غيبة بعض الأئمة عليهم السلام في بعض الأحيان ، وعدم تمكنه من إجراء الأحكام ، فإنما ذلك من جهة الرعية دون الإمام ، فليس ذلك نقضاً على لطف الله تعالى ، فإنما على الله تعالى إيجاد الإمام للرعية ليجمع به شملهم ، فإن لم يمكنوه من فعله لعدم قابليتهم وسوء استعدادهم ، فما على

---

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) الرعد : ٧ .

(٣) فاطر : ٢٤ .

(٤) النحل : ٨٩ .

(٥) أصول الكافي ج ١ ، ص ٣٢ ، ح ٢ .

الله من ذلك حجة ﴿ فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[1] ، مع أن ما في غيبته من الخيرات والحكم من تضاعيف مثوبات المؤمنين بها ، المعتقدين بوجود الإمام في أعمالهم الصالحات ما يسهل معها فوات إقامة الحدود ونحوها .

صفات الإمام :

ويجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه وأقربهم إلى الله عز وجل ، وأن تجتمع فيه خصال الخير المتفرقة في غيره ، مثل العلم بكتاب الله وسنة رسوله ، والفقه في دين الله ، والجهاد في سبيل الله ، والرغبة فيما عند الله ، والزهد فيما بيد خلق الله ، إلى غير ذلك من الخيرات .

عصمة الإمام :

وأن يكون معصوماً من الزيغ والزلل والخطأ ، في القول والعمل ، منزهاً من أن يحكم بالهوى أو يميل إلى الدنيا ، كما ذكرناه في النبي صلى الله عليه وآله بعينه وبالجملة : كل ما اشترط في النبي صلى الله عليه وآله من الصفات فهو شرط في الإمام ، ما خلا النبوة . قال الصادق عليه السلام : « كل ما كان لرسول الله فلنا مثله إلا النبوة والأزواج »[2] .

معرفة الإمام بالنص :

لا يوصل إلى معرفة هذه الخصال المحمودة والخلال المعدودة إلا بوحي من الله إلى رسوله ، لامتناع الاطلاع على البواطن ، كما أوحي إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام : ﴿ إنما وليكم الله

---

(١) الروم : ٩ .
(٢) ما عثرت على أصل له : راجع المحجة البيضاء ، ج ١ ص ٢٣٣ .

ورسوله . . . . ﴾[1] وآية ﴿ **بلّغ ما أنـزل إليك من ربـك** ﴾[2] وغيرهـا ، فإذا ظهـر الوحي وجب عـلى الرسـول صلى الله عليـه وآلـه أن ينص عـلى من يخلفـه بعد وفاته ، إما قولاً ، كقول نبينـا صلى الله عليـه وآله : « من كنت مـولاه فهذا عـلي مـولاه »[3] وقـولـه : « معـاشر أصحـابي إن عـلي بن أبي طـالب وصيّـي وخليفتي عليكم في حياتي وبعد مـوتي ، وهو الصـديق الأكبر ، والفـاروق الذي يفـرق بين الحق والبـاطل ، وهـو باب الله الـذي يؤتى منه ، وهـو السبيـل إليـه والدليل عليه ، من عرفه فقد عرفني ، ومن أنكره فقـد أنكرني ، ومن تبعـه فقد تبعني ، سنـة جرت في زمن إبـراهيم »[4] . وإما فعـلاً ، كفعل نبينـا صـلى الله عليه وآله بعـلي عليه السـلام ، ولّاه سرايـاه وجيوشـه وسيّرهم تحت رايتـه ، ولم يـولّ عليـه أحـداً قط ، ولم يكن كمن سـار تحت رايـة (عمـرو بن العـاص) و (أسامة بن زيد) وغيرهما . وقد علم أصحـابه أنـه كان أميـراً في جيوشـه غير مؤمر عليه .

وأيضـا ، لو لم ينص النبي عـلى وصيه لأدى ذلـك إلى التشعب والتشاغب والاختلاف بين أصحـابه ، وكيف لا يـوصي النبي بمثل هـذا الأمر العـظيم وقد أمـر هو عـامة النـاس بالـوصية فيـما هو أهـون من ذلـك ، وحثهم عليهـا وأكـد عليهم أمرها .

---

(١) المائدة : ٥٥ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) اصول الكافي ، ج ١ ص ٢٩٤ ، ح ٣ .

(٤) بحـار الأنوار ، ج ٩ بـاب النص عـلى أمـير المؤمنـين ، و (سنـة جـرت . . .) زائـدة ـ راجع المحجة ج ١ ص ٢٣٣ .

الأئمة اثنا عشر :

قد تواتر لنا عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، أن حجج الله تعالى على خلقه بعده الأئمة الاثنا عشر . أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم الحسن الزكي عليه السلام ، ثم الحسين الشهيد عليه السلام ، ثم علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين ، ثم محمد بن علي الباقر عليه السلام ، ثم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، ثم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، ثم علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ثم محمد بن علي الجواد عليه السلام ، ثم علي بن محمد الهادي عليه السلام ، ثم الحسن بن علي الزكي عليه السلام ، ثم ابنه القائم عجل الله فرجه ، سميّ النبي صلى الله عليه وآله ، وكنيته (صاحب زماننا) و (خليفة الله في أرضه) في أواننا ، صلوات الله عليهم جميعاً .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « اثنا عشر من أهل بيتي ، أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي ، وخلقهم من طينتي ، فويل للمنكرين حقهم بعدي ، القاطعين فيهم صلتي ، مالهم ؟! لا أنالهم الله شفاعتي »[1] ، وقال أيضاً « بعدي اثنا عشر ، أولهم أنت يا علي ، وآخرهم القائم الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها »[2] . وقد استفاض أمثال ذلك من الروايات في كتب العامة أيضاً .

وقد نص كل منهم صلوات الله عليهم على لاحقه ، بل لاحقيه ، بالأمانة والخلافة والعصمة ، وأخبر أصحابه باسمه ونعته .

---

(١) الاختصاص ، ص ٢٠٤ .

(٢) عيون اخبار الرضا ، ج ١ ص ٥٣ . وفي المصدر (يفتح الله تبارك وتعالى ذكره . . .) .

وقد ثبتت طهارتهم وصدقهم جميعاً عند معتبرة أهل الإسلام كافة ، مع اختلافهم وافتراقهم إلى فرق كثيرة ، وهذا من أدل الدلائل على حجيتهم دون غيرهم ممن اختلف في فضله وحاله . مع أن ذلك معلوم أيضاً من التتبع لآثارهم ومعارفهم ، بحيث لا يبقى للشك فيه مجال .

قال شيخنا الصدوق . . أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ره) : « من أوضح الدلائل على إمامتهم : أن الله عز وجل جعل آية النبي صلى الله عليه وآله ، أنه أتى بقصص الأنبياء الماضين (ع) ، وبكل علم توراة وإنجيل وزبور من غير أن يعلم الكتابة ظاهراً ، أو لقي نصرانياً أو يهودياً ، وكان ذلك أعظم آياته ، وقتل الحسين بن علي عليه السلام وخلف علي بن الحسين عليه السلام متقارب السن ، وكانت سنه أقل من عشرين سنة ، ثم انقبض عن الناس فلم يلق أحداً ، ولا كان يلقاه إلا خواص أصحابه . وكان في نهاية العبادة ، ولم يخرج عنه من العلم إلا يسير ، لصعوبة الزمان وجور بني أمية . ثم ظهر ابنه محمد بن علي المسمى بالباقر عليه السلام لفتقه العلم ، فأتى من علوم الدين والكتاب والسنة والسير والمغازي بأمر عظيم ، وأتى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من بعده بأكثر وأظهر ، فلم يبق من فنون العلم إلا أتى فيه بأشياء كثيرة ، وفسر القرآن والسنن ، ورويت عنه المغازي وأخبار الأنبياء عليهم السلام من غير أن يُرى هو وأبوه محمد بن علي عليه السلام ، أو علي بن الحسين عليه السلام ، عند أحد من رواة حديث العامة وفقهائهم يتعلمون منهم شيئاً . وفي ذلك أول دليل على أنهم أخذوا ذلك العلم عن النبي صلى الله عليه وآله ، ثم عن علي عليه السلام ، ثم عن واحد واحد من الأئمة .

وكذلك جماعة الأئمة عليهم السلام ، هذه سنتهم في العلم ، يسألون عن الحلال والحرام ، فيجيبون جوابات متفقة من غير أن يتعلموا ذلك من

الناس . فأي دليل أدل على إمامتهم ، وأن النبي صلى الله عليه وآله نصبهم وأودعهم علمه وعلوم الأنبياء عليهم السلام قبله ، وهل رأينا في العادات من ظهر عنه مثل ما ظهر من محمد بن علي عليه السلام ، وجعفر بن محمد عليه السلام ، من غير أن يتعلموا ذلك من أحد من الناس »(١) انتهى كلامه .

والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في فضائلهم ومناقبهم أكثر من أن تحصى ، وأشهر من أن تخفى ، سيّما في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام . فقد روى (ابن عباس) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حساب والإنس كتاب ما أحصوا فضل أمير المؤمنين عليه السلام »(٢) . وسئل من بعض أهل العلم عن فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : « ما أقول في رجل كتم أعداؤه فضائله حسداً وعداوة ، وكتم أولياؤه فضائله خوفاً وتقية ، ثم ظهر من بين الكتمانين فضائل طبّقت الخافقين »(٣) .

الصفات العامة للأئمة :

ويجب أن يعلم أنهم أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، وأنهم الشهداء على الناس ، وأنهم أبواب الله والسبل إليه والأدلاء عليه ، وأنهم عيبة علمه ، وأركان توحيده ، وأنهم معصومون من الخطأ والزلل ، وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس ، يعني الشك ، وطهرهم تطهيراً ، وأن لهم الدلائل والكرامات والمعجزات ، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، وأن مثلهم في هذه الأمة كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ،

---

(١) إكمال الدين للصدوق ، راجع المحجة ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
(٢) الطرائف لابن طاووس ص ٣٣ ـ راجع المحجة ج ١ ص ٢٤٤ .
(٣) الكلام للشافعي ـ راجع المحجة ج ١ ص ٢٤٥ .

وأنهم عباد الله المكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وأن حبهم إيمان وبغضهم كفر ، وأن أمرهم أمر الله[1] ونهيهم نهي الله ، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، ووليهم ولي الله وعدوهم عدو الله ، وأن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إما ظاهر مشهور وإما خائف مغمور ، « وإلا لساخت الأرض بأهلها »[2] .

القائم محمد بن الحسن العسكري (عج) :

وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، وأن حجة الله في أرضه وخليفته على عباده في زماننا هذا هو القائم محمد بن الحسن العسكري ، وأنه هو الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل باسمه ونعته ونسبه ، وكذا سائر أهل البيت . وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، وأنه هو الذي يظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، وأنه هو الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها ، حتى لا يبقى في الأرض مكان إلا نودي فيه بالأذان ، ويكون الدين لله ، وأنه هو المهدي الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله ، أنه إذا خرج، نزل عيسى بن مريم يصلي خلفه ، وأنهم عليهم السلام مقتولون بالسم ، سوى علي والحسين عليهما السلام فبالسيف ، ومن جحد إمامة أحدهم ، فهو بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام .

---

(١) راجع الأحاديث في ذلك ، أصول الكافي ج ١ ص (١٧٧ - ٢٧٦) .
(٢) أصول الكافي ج ١ ص ١٧٩ ح ١٠ وفي المعنى أحاديث كثيرة تجدها في نفس المصدر .

قال الصادق عليه السلام : « المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا »[1] وعن النبي صلى الله عليه وآله : « من جحد علياً إمامته بعدي فقد جحد نبوتي ، ومن جحد نبوتي فقد جحد الله ربوبيته »[2] . والغالي فيهم كالمقصر بل هو أشرّ .

حب أولياء الله وبغض أعدائه :

حب أولياء الله واجب ، وكذا بغض أعداء الله والبراءة منهم ومن أئمتهم ، سيما من الذين ظلموا آل محمد عليهم السلام حقهم وغصبوا ميراثهم ، وغيّروا سنة نبيهم صلى الله عليه وآله ، ومن الذين نكثوا بيعة إمامهم ، وأخرجوا المرأة ، وحاربوا أمير المؤمنين عليه السلام ، وقتلوا الشيعة ، ومن الذي نفى الأخيار وشردهم ، وآوى الطرداء اللعناء ، وجعل الأموال دُوَلة بين الأغنياء ، واستعمل السفهاء ، والذي قتل الأنصار والمهاجرين ، وأهل الفضل والصلاح من السابقين ومن أهل الاستيثار ، وأهل ولايته الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، أولئك كفروا بآيات ربهم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولقائه ، بأن لقوا الله بغير إمامته ، فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ، فهم كلاب أهل النار . والولاء لأولياء أمير المؤمنين الذين مضوا غلى منهاج نبيهم ، ولم يغيروا ولم يبدلوا ، مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبي هيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبي أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري ،

---

(١) اعتقادات الصدوق باب (٣٨) ، راجع المحجة ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) روى نحوه الصدوق في إكمال الدين ج ١ ص ٢٢٨ ـ راجع المحجة ج ١ ص ٢٤٦ .

وأمثالهم وأتباعهم وأشياعهم ، المهتدين بهديهم والسالكين منهاجهم ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، كذا عن مولانا الرضا عليه وعلى أبائه السلام[1] .

* * *

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٢٤

٥ ـ باب المعاد

الموت حق :

الموت حق و ﴿ **كلّ نفس ذائقة الموت** ﴾[١] إلا أن الإنسان خلق للأبد والبقاء ، لا للعدم والفناء ، فلا يعدم بالموت ، بل يفرق بين روحه وجسده ، وينتقل من دار إلى دار . كذا في الحديث النبوي[٢] . وقال الله عز وجل : ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء . . .** ﴾[٣] . ونادى النبي صلى الله عليه وآله الأشقياء المقتولين يوم بدر : « يا فلان ، يا فلان ، قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً » ؟ ثم قال : « والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم ، إلا أنهم لا يقدرون على الجواب »[٤] .

---

(١) آل عمران : ١٨٥ .

(٢) راجع : اعتقادات الصدوق ، الباب السادس عشر ـ نقلاً عن المحجة ج ١ ص ٢٤٨ .

(٣) البقرة : ١٥٤ .

(٤) في المصدر (وروي أنه (ص) يوم بدر كان ينادي المقتولين ويقول : « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ » فقيل : يا رسول الله إنهم أموات فكيف تناديهم ؟ فقال (ص) : إنهم أسمع منكم ») ـ البحار ج ٦ ، ص ٢٠٧ .

المسألة في القبر :

المساءلة في القبر حق . قال الصادق عليه السلام : « من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا : المعراج ، والمسألة في القبر ، والشفاعة »[1] . ولا يسأل من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً ، والباقون يلهون عنهم وما يعبأ بهم ، فمن أجاب بالصواب فاز بروح وريحان في قبره ، وبجنة نعيم في الآخرة ، ويسأل وهو مضغوط ، وما أقل من يفلت من ضغطة القبر ، وأكثر ما يكون عذاب القبر من سوء الخلق والنميمة والاستخفاف بالبول ، وهو للمؤمنين كفارة لما بقي عليهم من الذنوب ، التي لا تكفرها الهموم والغموم والأمراض وشدة الفزع عند الموت .

البعث بعد الموت حق :

البعث بعد الموت حق لاقتضاء عدل الله ، وحكمته إيصال جزاء التكاليف إلى العبيد ، والوفاء بالوعد والوعيد ، ومؤاخذة الظالم للمظلوم . . إلى غير ذلك . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾[2] ، وقال عز وجل : ﴿ **إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب** . . . إلى قوله . . . **ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور** ﴾[3] ، وقال عز اسمه : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة** . . . إلى قوله تعالى . . . **ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة**

---

(١) البحار ٨ / ٣٧ .

(٢) المؤمنون : ١١٥ .

(٣) الحج : ٥ ـ ٧ .

تبعثون ﴾[1] ، وقال الله تعالى : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾[2] . وقال النبي صلى الله عليه وآله : « يا بني عبد المطلب إن الرائد لا يكذب أهله ، والذي بعثني بالحق نبياً لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، وما بعد الموت دار إلا الجنة والنار »[3] .

الصراط حق :

الصراط حق ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ينتهي إلى الجنة ، وعليه يمر جميع الخلائق ، قال الله عز وجل : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾[4] .

وعن الصادق عليه السلام : « الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، فمنهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس ، ومنهم من يمر حبواً ، ومنهم من يمر مشياً ، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً »[5] .

وقال الصادق عليه السلام : « الصراط هو الطريق إلى معرفة الله ، وهو صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة ، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة ، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن

---

(١) المؤمنون : ١٢ ـ ١٦ .
(٢) الأنبياء : ١٠٤ .
(٣) السيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ـ راجع المحجة ج ١ ص ٣٤٩ .
(٤) مريم : ٧١ .
(٥) البحار ، ج ٨ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم »[1] . يعني الإمام هو الطريق إلى معرفة الله ، وهو الهادي إلى سبيله قولاً وفعلاً ، فمن عرفه في الدنيا واقتدى بهداه واستن بسنته مرّ على الصراط المستقيم ، الذي مرّ هو عليه في الدنيا ، أي طريقته التي هو عليها في الأعمال والأخلاق ، كما قال الله عز وجل ، حكاية عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه** ﴾[2] ، فهو الناجي الذي يمر على صراط الآخرة ، ومن لم يعرفه ولم يهتد إلى طريقته ، ولم يعمل بها ، فهو الهالك الذي تزلّ قدمه عن صراط الآخرة .

وفي حديث آخر عن الزكي العسكري عليه السلام : « إن الصراط في الدنيا ما قصر عنّ الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلا يعدل إلى شيء من الباطل »[3] ، وهذا أيضاً قريب من ذلك في المعنى ، بل هما واحد عند التحقيق ، فإن الاستقامة التي لا عدول عنها إلى طرفي الإفراط والتفريط ، هي طريقة الإمام .

وعلى الصراط عقبات تسمى بأسماء الأوامر والنواهي ، كالصلاة والزكاة والرحم والأمانة وولاية الإمام وغيرها ، فمن قصر في شيء منها ، حبس عند تلك العقبة ، وطولب بحق الله فيها ، فإن خرج منها بعمل صالح قدّمه أو برحمة تداركته نجا منها إلى عقبة أخرى ، فلا يزال يدفع من عقبة إلى عقبة ويحبس فيسأل ، حتى إذا سلم منها جميعاً انتهى إلى دار البقاء ، فيحيى حياة لا موت فيها أبداً ، ويسعد سعادة لا شقاوة فيها أبداً ، وإن لم يسلم زلت

---

(١) ن . م ، ص ٦٦ ، ح ٣ .
(٢) الأنعام : ١٥٣ .
(٣) البحار ، ج ٨ ، ص ٧٠ ، ح ١٨ .

قدمه عن العقبة فتردى في نار جهنم نعوذ بالله منها .

الميزان حق :

الميزان حق والحساب حق ، قـال الله عز وجـل : ﴿ **والوزن يـومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينـه فأولئـك الذين خسـروا أنفسهم بما كـانوا بـآياتنـا يظلمـون** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **ونضـع الموازين القسط ليوم القيامـة فلا تـظلم نفس شيئاً وإن كـان مثقال حبـة من خردل أتينـا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾[2] .

وقـال الصادق عليـه السـلام : « المـوازين القسط هم الأنبيـاء والأوصيـاء عليهم السلام »[3] أقول : وشرح ذلك : إن الميـزان هو المعيـار الذي يعـرف به قـدر الشيء ، وارتفاع قـدر العباذ وقبـول أعمـالهم إنمـا بقـدر إيمـانهم بـالانبيـاء والأوصيـاء ، ومحبتهم لهم وطـاعتهم إيـاهم في أقـوالهم وأفعـالهم وأخـلاقهم ، والاقتفـاء لآثارهم ، فـالقبول الـراجح الثقيـل من الأعمال مـا وافق أعمـالهم ، والمـرضي الحسن الجميل من الأخـلاق والأقوال مـا طابق أخـلاقهم وأقـوالهم . والحق الصائب السديد من الاعتقادات مـا أخذ منهم ، والمـردود منها مـا خالف ذلـك ، وكلما بعـد بعــد ، فهم إذن مـوازين الأعمــال والعلوم بهـذا المعنى ، فافهم .

الحساب حق :

الحســاب هو جمـع تفاريق المقـادير والأعـداد وتعريف مبلغهـا ، وفي قدرة

---

(١) الأعراف : ٨ ، ٩ .

(٢) الأنبياء : ٤٧ .

(٣) البحار ، ج ٧ ، ص ٢٤٩ ، ح ٦ .

الله عز وجل أن يكشف في لحظة واحدة للخلائق حاصل حسناتهم ﴿ **وهو أسرع الحاسبين** ﴾[١] ، ويأبى الله إلا أن يعرفهم حقيقة ذلك ، ليتبين فضله عند العفو ، وعدله عند العقاب ، فيخاطب عباده جميعاً من الأولين والآخرين ، بحاصل حساب أعمالهم مخاطبة واحدة ، يسمع كل واحد قضيته دون غيره ، ويظن أنه المخاطب دون غيره ، لا يشغله عز وجل مخاطبة عن مخاطبة ، يفرغ من حسابهم جميعاً ، مقدار ساعة من ساعات الدنيا ، ويخرج من كل إنسان كتاباً ، يلقاه منشوراً ، ينطق عليه بجميع أعماله ، ﴿ **لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها** ﴾[٢] ، فيجعله الله محاسب نفسه والحاكم عليها بأن يقال له : ﴿ **اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾[٣] ، ويختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وجميع جوارحهم بما كانوا يكسبون : ﴿**وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء** ﴾[٤] ، فتتطاير الكتب وتشخص الأبصار إليها ، أتقع في اليمين أو في الشمال ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرأوا كتابيه** ﴾[٥] ، ﴿ **وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول : يا ليتني لم أوت كتابيه** ﴾[٦] ، ثم ينظر إلى الميزان يميل إلى جانب السيئات أم الحسنات ، وهل الحسنات ثقيلة أم خفيفة ﴿ **فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشه**

---

(١) الأنعام : ٦٢ .
(٢) الكهف : ٤٩ .
(٣) الإسراء : ١٤ .
(٤) فصلت : ٢١ .
(٥) الحاقة : ١٩ .
(٦) الحاقّة : ٢٥ .

راضية ﴾[1] ، ﴿ وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية ﴾[2] ، نعوذ بالله منها .

لا ينجو من خطر الميزان والحساب ، إلا من حاسب نفسه في الدنيا ، ووزن بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته ، كما ورد في الحديث : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها ، وزنوها قبل أن توزنوا »[3] .

كل ما ورد في الشرع من أهوال يوم القيامة وطوله وحره وعرق الناس فيه ، وازدحامهم واختصامهم ، وبراءة بعضهم من بعض ، وفرار المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، والسياق وإحضار الشهداء والمساءلة وغير ذلك ، كما أخبر الله عز وجل في القرآن ، وأئمة الهدى في الأخبار المروية عنهم ، حق وصدق لا ريب فيه . قال الصادق عليه السلام : [« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها ، فإن للقيامة خمسين موقفاً ، كل موقف ألف سنة » ثم تلا : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾][4] .

قيل : كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله ، من حج وجهاد ، وصيام وقيام ، وتردد في قضاء حاجة مسلم ، وتحمل مشقة ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، يخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ، ويطول فيه الكرب ، ومن طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات ، فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة . سئل النبي صلى الله عليه وآله عن طول ذلك اليوم فقال : « والذي نفسي بيده ، إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا » .

---

(١) القارعة ٦ ، ٧ .
(٢) القارعة : ٨ ، ٩ .
(٣) نهج البلاغة ، خطبة (٩٠) ، ص ١٢٣ .
(٤) روضة الكافي ، ص ١٤٣ .

فمن كان له عند غيره مظلمة يؤخذ له من حسنات الظالم بقدر حقه ، فتزاد على حسناته ، فإن لم يكن للظالم حسنات فتزاد على سيئات الظالم ، كذا عن الأئمة ، وعن النبي صلى الله عليه وآله : « هل تدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع ، فقال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، وإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ، ثم يطرح في النار »[1] .

الشفاعة والحوض حق :

الشفاعة حق والحوض حق ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي . . . ثم قال : إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وأما المحسنون فما عليهم من سبيل »[2] ، وفي رواية أخرى : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ما خلا الشرك والظلم »[3] ، وقال صلى الله عليه وآله : « إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر »[4] ، ويقال : أقل المؤمنين شفاعة يشفع لثلاثين إنساناً .

وقال : « إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلغاء ، ماؤه أشد بياضاً

---

(١) مسند احمد ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٢) البحار ، ج ٨ ص ٣٤ ، ح ٤ .

(٣) البحار ، ج ٨ ، ص ٣٩ ح ١٨ ، وفي المصدر (ما خلا أهل . .) .

(٤) مسند أحمد ، ج ٤ ص ٢١٢ .

من اللبن وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً »[1] ، وفي الخبر : « ان الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين عليه السلام ، يسقي منه أولياءه ، ويرد عنه أعداء ه »[2] .

الجنة والنار حق :

الجنة حق والنار حق ، وهما مخلوقتان اليوم ، بل لا تخرج نفس من الدنيا ، حتى ترى مكانها من إحداهما ، كذا عن أئمة الهدى .

والجنة دار البقاء ودار السلام ، لا موت فيها ولا هرم ، ولا مرض ولا سقم ، ولا آفة ولا غم ولا هم ، ولا حاجة ولا فقر . وهي دار الغنى والسعادة ، ودار المقامة والكرامة ، لا يمس أهلها فيها نصب ، ولا يمسهم لغوب . ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين** ﴾[3] . ولذاتهم على أنواع : منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه في جملة ملائكته ، ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه ، والأرائك والحور العين ، واستخدام الولدان المخلدين ، والجلوس على النمارق والزرابيّ ، ولباس السندس والحرير ، كل منهم إنما يتلذذ بما يشتهي ويريد ، على حسب ما تعلقت عليه همته ، لا يتغوطون ولا يتبولون ، وإنما هو جثاء ورشح كالمسك ، يلهمون الحمد والتسبيح ، كما يلهمون النفس ، ويزدادون كمالاً وحسناً ، كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرماً .

لها ثمانية أبواب ، عرض كل باب منها مسيرة أربعمائة سنة .

---

(١) مسند أحمد ، ج ٢ ص ١٣٣ .

(٢) البحار ، ج ٨ ، ص ١٩ ، ح ٦ .

(٣) الزخرف : ٧١ .

والنـار دار الهوان ، ودار الانتقـام من أهـل الكفـر والعصيـان ، **لا يقضى** عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها ﴿ **لا يذوقون فيهـا برداً ولا شـراباً * إلا حميماً وغسّاقـاً** ﴾[١] . وإن استطعمـوا أطعموا من الـزقوم ، وإن استغـاثوا أغيثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ﴿ **وساءت مـرتفقاً** ﴾[٢] ينـادون من مكان بعيـد : ﴿ **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمـون** ﴾[٣] فيمسك الجـواب عنهم أحيانـا ، ثم يقال لهم : ﴿ **اخسـأوا فيهـا ولا تكـلمون** ﴾[٤] ﴿ **ونـادوا يـا مـالـك ليقض علينـا ربك قـال إنكم ماكثـون** ﴾[٥] ، ﴿ **لها سبعـة أبـواب ، لكـل بـاب منهم جزء مقسوم** ﴾[٦] .

مستحقو الجنة ومستحقو النار :

الجنـة لأهل الإيمـان الذين لم يـذنبوا كبيـرة ، أو تابـوا منهـا ، أو أدركتهم الشفـاعة ، أو نـالتهم الرحمـة ، والنار لأهـل الشرك والكفـر والجحـود خلوداً ، ولأهل الكبائـر من المؤمنين الـذين ماتـوا من غير تـوبة ، وروداً من غـير خلود ، لاستحقـاقهم الثواب بـالإيمان ، فيخـرجون منهـا بعد استيفـاء عذابهم ، الـذي استحقوا بالذنوب التي اكتسبوها ، بالرحمة التي تدركهم والشفاعة التي تنالهم .

وروي : إنه لا يصيب أحداً من أهـل التوحيـد ألم في النار إذا دخلوهـا ، وإنمـا يصيبهم الألم عنـد الخـروج منهـا ، فتكـون تلك الآلام جـزاء بمـا كسبت

(١) النبأ : ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) الكهف : ٢٩ .
(٣) المؤمنون : ١٠٧ .
(٤) المؤمنون : ١٠٨ .
(٥) الزخرف : ٧٧ .
(٦) الحجر : ٤٤ .

أيديهم ، وما الله بظلام للعبيد .

ومن وعده الله على عمل ثواباً ، فهو منجزه البتة ﴿ **ولن يخلف الله وعده** ﴾[1] ، ومن أوعده الله على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار ، إن عذبه فبعدله ، وإن عفا عنه فبفضله ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[2] .

وفي الخبر أن قسيم الجنة والنار أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك لأنه بحبه وبغضه يمتاز أهلوهما . فإن حبه إيمان وبغضه كفر ، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان ، وخلقت النار لأهل الكفر . كذا عن الصادق عليه السلام . رزقنا الله متابعتهم ومشايعتهم كما رزقنا حبهم بمنّه .

* * *

---

(١) الحج - ٤٧ .
(٢) النساء : ٤٨ .

المقصد الثاني

في التقوى

١ - باب طاعات الجوارح

طاعات الجوارح إما فرائض وإما نوافل ، والفرائض بمنزلة رأس المال وبه أصل النجاة ، والنفل هو الربح وبه الفوز بالدرجات . قال الله عز وجل : « ما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل مما افترضته عليه ، وإنه ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » الحديث .

فالفرائض : إما عينية أو كفائية .

فمن العينية الصلاة والزكاة والحج والصيام ، وصلة الأرحام ورد السلام ، والسجود عند تلاوة العزائم وعند استماعها في مواضعه ، وبر الوالدين وأداء حقوق الإخوان ، ونفقة الزوجة والمملوك وسائر حقوقهما ، ونفقة الأقارب مع فقرهم وغناه ، وتقدير المعيشة من غير إسراف ولا بخل ، وطلب الحلال ودفع الضرر عن النفس والمال ، والختان للرجل ، والترويج مع خوف الوقوع في الحرام وبدونه ، والصدق في الأقوال والأفعال ، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر ، ولو إلى قاتل الحسين (ع) ، والوفاء بالعهد والوعد ، وصرف نعم الله سبحانه فيما خلقت لأجله .

ومن الكفائية : الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإفتاء في المسائل الشرعية والقضاء فيها مع اضطرار الناس إليهما ، وكذا سائر الصناعات الضرورية لهم ، كالطبابة والخياطة

والفلاحة وغيرها مما لا يحصى ، وإطعام الجائعين وإغاثة المستغيثين في النائبات على ذوي اليسار مع قصور الصدقات الواجبة ، وتحمل الشهادة مع عدم تعيينه عليه ، وتجهيز الموتى وتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم والصلاة عليهم ، وإلى غير ذلك . ومن الفرائض ما يتصف بالنفل أيضاً .

والنوافل : كثيرة لا تدخل تحت الضبط والحصر ، منها إكثار ذكر الله سبحانه ، وتلاوة القرآن ، والسجود عند موضعه من غير العزائم ، والدعاء ، والاختلاف إلى المساجد ، وإفشاء السلام ، واتخاذ الإخوان ومؤاساتهم والمكافأة على صنائعهم ، واستعمال المروة والسخاء والجود ، وبذل المال والتوسع على العيال والإحسان إلى الضعيفين المرأة والمملوك ، والتعطف على الفقراء والمساكين ومشاركتهم في المعيشة ، وإكرام ذي الشيبة المسلم ، والتواضع للمؤمنين ، وكرم الصحبة وحسن الجوار ، وحفظ اللسان إلا من خير ، والاعتراف بالتقصير في جميع الحالات ، والإتيان بالآداب والسنن النبوية في سائر الحركات والسكنات ، رزقنا الله ذلك كله وسائر المؤمنين بمنه وجوده .

فهذه أمهات الفرائض والنوافل ، منها ما لا يحتاج إلى مزيد شرح وبيان كصدق الحديث وأداء الأمانة ، ومنها ما لا يعم المكلفين قاطبة كالزكاة ، فإنها تختص بذي المال البالغ إلى النصاب ، وكالحج المختص بمن استطاع ، فليس تعلم مثل ذلك فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فلنقتصر من بيان الفرائض على ما يحتاج إلى البيان ، ويعم كل إنسان في جميع الأوان ، ومن النوافل ما يتعلق بذلك ، وبالجملة ما يتوزع على الأوقات في اليوم والليلة ، فإن أردت ما سواه أو احتجت إلى مزيد بيان لما بيّنّا فاطلبه مما أوردناه في كتابنا المسمى بمفاتيح الشرائع ، وغيره .

لن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك ، من حين تصبح إلى حين تمسي ، فاعلم أن

الله سبحانه مطلع على ضميرك ، ومشرف على ظاهرك وباطنك ، ومحيط بخطراتك وخطواتك ، وسائر قلبك وسكناتك وحركاتك ولحظاتك ، وأنك في مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه ، فلا يسكن في الملك والملكوت ساكن ولا يتحرك متحرك إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه ، فعليك أن تتأدب ظاهراً أو باطناً بين يدي الله تعالى ، أدب العبد المذنب الذليل في حضرة الجبار القهار ، واجتهد أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ، ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك وترتب أوزارك من صباحك إلى مسائك ، كما نذكرها لك ، ونذكر الفرائض بصيغة الأمر لتميز عن النوافل .

آداب الاستيقاظ من النوم :

إذا استيقظت من النوم صباحاً ، فينبغي أن تجتهد لأن تستيقظ قبل طلوع الصبح ، وأن يكون أول ما يجري على قلبك ولسانك ذكر الله ، فتقول عند ذلك : « الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه البعث والنشور »[1] و « الحمد لله الذي رد علي روحي لأحمده وأعبده »[2] وإذا سجدت فقد تأسيت النبي ، فإذا تمكنت من الجلوس فتقول : « حسبي الرب من العباد ، حسبي الذي هو حسبي منذ كنت ، حسبي الله ونعم الوكيل »[3] ، فإذا قمت قلت : « اللهم أعنّي على هول المطلع ، ووسع علي المضجع ، وارزقني خير ما قبل الموت ، وارزقني خير ما بعد الموت »[4] ، فإذا لبست ثيابك فتنوي بذلك امتثال أمر الله في ستر عورتك فتقول : « الحمد لله الذي كساني ما أواري به

---

(١) أصول الكافي ، ج ٢ ، ص ٥٣٩ ، ح ١٦ .
(٢) ن . م ، ص ٥٣٨ ، ح ١٢ .
(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٩٢ .
(٤) أصول الكافي ج ٢ ، ص ٥٣٨ ، ح ١٣ .

عـورتي وأتجمل بـه في النـاس »[١] ، فـإذا لبست نعليـك تقـول : « بسم الله ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، وطي قـدمي في الدنيـا والآخرة ، وثبتهـما على الصراط المستقيم يوم تزل فيه الأقدام »[٢] وتبدأ باليمنى .

آداب التخلي :

فإذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة ، تقـدم في الدخـول رجلك اليسرى وتقـول : « بسم الله وأعوذ بـالله من الـرجيس النجس الخبيث المخبث الشيـطان الـرجيم »[٣] ، ولا تـدخـل حـاسر الـرأس وتقـول عنـد الكشف : بسم الله ، ليغض الشيـطان بصره ، واسـتر عورتـك عن النـاظـر ، وتقـول عنـد الفعـل : « الحمد لله الذي أطعمني طيبـاً في عافيـة ، وأخرجـه مني خبيثاً في عـافية »[٤] ، وتتكىء عـلى رجلكْ اليسـرى ، وإذا وقـع نـظرك إليــه تقـول : « اللهم ارزقني الحـلال وجنبني الحـرام »[٥] وعنـد الاستنجـاء تقـول : « اللهم حصن فـرجي واعفـه ، واستر عـورتي وحـرمني عـلى النـار »[٦] ، وتستنجي بيـدك اليسـرى ، واغسل مخرج البول بالماء ، ولا يجزي غيـره ، بعد أن تستبرىء منه بـإمرار اليـد من أصل القضيب ، والتنحنح والنـتر وتجمع في الآخـر بينه وبـين الحجر ، فـإن اقتصرت على الحجر ، فاستعمل ثلاثة أحجار منشفـات للعين . تمسـح بها محـل النجو ، بحيث لا ينتقل النجـاسة عن مـوضعها ، فـإن لم يحصل الإنقـاء بثلاثـة فتمسح بخمسة أو سبعة إلى أن تنقى . فالإيثار نفل ، والإنقـاء فرض ، وتقـول

(١) مكارم الأخلا ق ٢٩٥ .

(٢) ن . م ص ١٢٣ .

(٣) وسائل الشيعة ، مجلد ١ ، ص ٢١٦ ، ح ٢ .

(٤) مفتاح الجنات ج ١ ص ٤٢ .

(٥) تحف العقول عن آل الرسول ص ٨٣ .

(٦) الوسائل مجلد (١) ، ض ٢٨٢ ، ح ١ .

عند الفراغ ماسحاً بطنك : « الحمد لله الذي أماط عني الأذى ، وهنأني طعامي وشرابي ، وعافاني من البلوى »(١) وتخرج مقدما رجلك اليمنى .

آداب الوضوء :

فإذا أردت الوضوء تبدأ بالسواك ، فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب ، وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك ، وتجلس مستقبل القبلة ، وتقول عند النظر الى الماء : « الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً ولم يجعله نجساً »(٢) . ثم تغسل يديك من الزندين مرة أو مرتين قبل إدخالهما الإناء ـ إن اغترفت من إناء ـ وتقول : « بسم الله وبالله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين »(٣) ثم تمضمض ثلاثاً بثلاثة أكف وتقول : « اللهم لقني حجتي يوم ألقاك ، وأطلق لساني بذكرك وشكرك »(٤) ، ثم تستنشق كذلك وتقول : « اللهم لا تحرمني طيبات الجنة ، واجعلني ممن يشم ريحها وروحها وطيباتها »(٥) ، ثم اغترف بيمناك غرفة ، ناوياً الإتيان بالوضوء لله ، مقارناً بها غسل الوجه ، مبتدئاً بأعلاه قائلاً : « بسم الله وبالله ، اللهم بيض وجهي يوم تبيض فيه الوجوه ، ولا تسود وجهي يوم تسود فيه الوجوه »(٦) وتمر يدك عليه وتخلل الشعور وتفتح عينيك ، وحدّ الوجه طولاً وعرضاً ما دارت عليه الإبهام والوسطى ، ثم خذ باليد اليسرى غرفة واغسل بها اليمنى ، مبتدئاً بالمرفق بظاهر الذراع ، والمرأة بباطنها ، ممرّاً يدك عليها ، وخلل الشعور والمساتر قائلا : « اللهم أعطني كتابي بيميني والخلد في الجنان بيساري وحاسبني حساباً يسيراً »(٧) ، ثم خذ غرفة أخرى بيدك اليمنى فاغسل اليسرى كأختها ، قائلاً : « اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري ، ولا تجعلها

---

(١) مفتاح الجنات ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٢) ـ (٧) الوسائل مجلد(١) ص (٢٨٢ ـ ٢٨٣) ، ح ١ .

مغلولة إلى عنقي ، وأعوذ بك من مقطعات النيران »[1] ، ثم امسح بشرة مقدم رأسك أو مشعره الذي لا يخرج بمده عن حده ، بمقدار ثلاث أصابع مضمومة ببلل يمينك قائلاً : « اللهم غشني برحمتك وبركاتك »[2] ، ثم امسح ببقية ذلك البلل ظهر قدمك اليمنى من رؤوس الأصابع إلى الكعب ، أعني مفصل الساق والقدم والكف ، وببلل بيسارك قدمك اليسرى كذلك قائلاً : « اللهم ثبتني على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ، واجعل سعيي فيما يرضيك عني »[3] ، وراع الترتيب والتوالي العرفي .

وتقول عند فراغك : « الحمد لله رب العالمين »[4] ، وينبغي وحدة الغسلات ، بل الاقتصار على غرفة أو غرفتين ، والإسباغ بمد .

وترك الاستعانة ، والمشمس ، والآجن ، وسؤر غير المأمون ، والمستعمل في رفع الحدث الأكبر ، وأن تحضر ببالك عند الفراغ أنك طهرت ظاهرك ، وهو مطرح نظر الخلق ، فينبغي أن تستحي من مناجاة الله من غير تطهير قلبك ، وهو موقع نظر الرب .

آداب غسل الجنابة :

فإن اصابتك جنابة من احتلام أو وقاع ، تستبريء بالبول أو كما تستبرىء منه ، وأزل ما على بدنك من قذر ، وتسمي وتغسل يديك من الزندين ثلاثاً وإلى المرفقين أفضل ، وتمضمض وتستنشق ، ثم صب الماء على رأسك ثلاثاً ، وأنت ناوٍ الإتيان بالغسل لله ، ثم على شقك الأيمن ثم الأيسر ، وترم يدك على أعضائك كلها ، وخلل الشعور والموانع ، وتقول :

---

(١) - (٢) - (٣) الوسائل مجلد (١) ص ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ح ١ .
(٤) ن . م . ص (٢٨٢ - ٢٨٣) ، ح ١ .

« اللهم طهر قلبي وتقبل سعيي واجعل ما عندك خيرا لي ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين »[1] .

وارتمس في الماء ارتماسة ، وينبغي أن لا يكون راكداً ، وترك الاستعانة إلى آخر ما مرّ في الوضوء ، فإن عجزت عن الماء لفقده بعد الطلب ، أو لمانع من الوصول إليه ، من سبع أو حابس ، أو كان الماء حاضراً تحتاج إليه لعطشك أو عطش رفيقك ، أو كان ملكاً لغيرك ، ولم يبع إلا بالثمن المجحف ، أو بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك ، فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة ، ثم اقصد صعيداً طيباً ، عليه تراب خالص ، طاهر لين ، وانزع خاتمك ، ثم اضرب عليه بكفيك ، مفرج الأصابع ، ناوياً الإتيان بالتيمم لله ، مسمياً ، فامسح به جبهتك وتدخل الجبينين ، ثم اضرب ثانية ، وامسح بباطن اليسرى ظاهر اليمنى من الزند وبالعكس ، وإن اقتصرت على الضربة الأولى في المسحات الثلاث أجزاك ، بشرط بقاء العلوق .

آداب السحر :

فإذا تطهرّت فتطيب ، فإن ركعتين تصليهما متعطراً أفضل من سبعين ركعة تصليها غير متعطر ، ثم تدعو بدعاء زين العابدين الذي كان يدعو به في جوف الليل ، جالساً مستقبل القبلة ، ثم تقوم إلى صلاة الليل إن كان بقي عليك وقت وإلا تقتصر على ثلاث ركعات ، الوتر وركعتي الفجر ، وإلا فالركعتين ، وتقرأ فيهما ما شئت من السور ، بقدر سعة الوقت ، وإن اقتصرت على الفاتحة أجزأك ، ولا تدع الاستغفار في قنوت الوتر ، ثم تتوجه إلى المسجد ، فعن الصادق عليه السلام : « من مشى إلى المسجد ، لم يضع رجله

---

(١) ن . م . ص ٥٢٠ ، ح ٣ .

على رطب ولا يابس إلا سبحت لـه الأرض السابعـة »[1] . ولا تدع الصـلاة في الجمـاعة ، لا سيـما الصبح والعشـاء . فإن صـلاة الجماعـة تفضل عـلى صـلاة الفرادى بأربع وعشرين درجة ، فإن كنت تتسـاهل في مثـل هذا الـربح ، فـأي فائدة لك في طلب العلم ، وإنما ثمرة العلم العمل .

آداب الدخول إلى المسجد :

فإذا سعيت إلى المسجد تمشي عـلى سكينة ووقـار ، وتقول عنـد خروجـك من بيتـك : [بسم الله ﴿ **الـذي خلقني فهـو يهـدين * والــذي هـو يـطعمـني ويسقين * وإذا مرضت فهـو يشفين * والـذي يميتني ثم يحيين * والـذي أطمع أن يغفـر لي خـطيئتي يـوم الـدين * رب هب لي حكـماً وألحقني بـالصـالحـين * واجعــل لي لسـان صـــدق في الآخـرين * واجعلني من ورثــة جنــة النعيم * واغفر لأبي** ﴾][2] .

وإذا أردت دخـول المسجد ، فتعـاهد نعليـك أولا ، وتقدم رجلك اليمنى وتقـول : « بسم الله وبـالله ، ومن الله وإلى الله ، وخـير الأسـماء الحسنى كلّهــا لله ، تـوكلت على الله ، لا حـول ولا قـوة إلا بـالله اللهم صـل عـلى محمـد وآل محمـد ، وافتـح لي أبـواب رحمتـك وتـوبتـك ، وأغلق عني أبــواب معصيتـك ، واجعلني من زوارك وعمـار مسجـدك وممن ينــاجيـك في الليــل والنهـار ، ومن الذين هم في صلاتهم خاشعون ، وادحـر عني الشيطان الـرجيم ، وجنود إبليس أجمعـين »[3] ، فإذا أردت أن تخلع نعليـك ، تبدأ بـاليسرى قبـل اليمنى بعكس

(١) ن . م ، مجلد ٢ ، ج ١ ص ٤٨٣ ، ح ١ .
(٢) مـأخوذ من القـرآن الكريم ، الشعـراء (٧٨ ـ ٨٦) ـ راجع مفتـاح الجنات ج ١ ص ٤٦ ـ ٤٧ .
(٣) مكارم الاخلاق ص ٢٩٨ .

لبسهما ، وتقول : « بسم الله ، الحمد لله الذي رزقني ما أوقي به قدمي من الأذى ، اللهم ثبتهما على صراطك ، ولا تزلهما عن الصراط السوي »[1] ، ثم تأتي بركعتي التحية للمسجد إن لم يدخل الوقت ، وإلا جزتك الفريضة عنهما .

آداب الفجر :

فإذا تحققت طلوع الصبح ، فتقول : « يا فالقه من حيث لا أرى ، ومخرجه من حيث أرى ، صل على محمد وآل محمد ، واجعل أول يومنا هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً »[2] ثم تأتي بكلمة التوحيد التي سمي بها نوح عبداً شكوراً عشر مرات ، وهي : « اللهم إني أشهدك أنه ما أصبح بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا ، فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد والشكر علي ، حتى ترضى وبعد الرضا »[3] ، ثم تؤذن قائماً مستقبلاً رافعاً صوتك متأنياً ، واضعاً أصبعيك في أذنيك ، واقفاً على الفصول ، غير ملتفت يميناً ولا شمالاً ، ولا متكلم في أثنائه ، مصلّياً على النبي عند ذكره ، ثم تفصل بين الأذان والإقامة بسجدة أو جلسة ، وتقول فيهما : « اللهم اجعل قلبي بارّاً وعيشي قاراً ، وارزقني داراً واجعل لي عند قبر رسولك مستقراً وقراراً »[4] ، ثم تدعو بما شئت وتسأل حاجتك ، فإن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ، ثم تقوم إلى الإقامة وتأتي بالآداب المذكورة ، سوى التأني

---

(١) ن . م . ص ١٢٣ .

(٢) ن . م ص : ٢٩٩ .

(٣) ن. م. ص ٢٧٧ ، وفي المصدر(ما أصبح وأمسى) و (في ديني ودنياي) بدل في دين ودنيا .

(٤) ن . م . ص ٢٩٩ وفي المصدر (مستقراً وقراراً) .

ووضع الأصبعين في الأذنين ، ورفع الصوت ، فإنه فيها أخفض ، وتقول إذا فرغت منها وأنت مستقبل القبلة : « اللهم إليك توجهت ومرضاتك طلبت ، وثوابك ابتغيت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، وافتح قلبي لذكرك وشكرك ، وثبتني على دينك ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهّاب »[1] ، فإذا سمعت الأذان تقطع ما أنت فيه ، وتشتغل بالجواب بمثل ما يقول المؤذن ، ولك أن تحولق في جواب حيعلان ، ففي الحديث : إن قال ذلك من قلبه دخل الجنة . وينبغي أن تحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، وتكون مستبشراً بذلك فرحان ،تأسياً بالنبي صلى الله عليه وآله ، حيث كان يقول: «أرحنا يا بلال »، فإذا أحرم الإمام بالفرض ، فلا تشتغل إلا بالاقتداء .

التهيؤ للصلاة :

فإذا فرغت للصلاة فتحضر قلبك وتفرغه من الوسواس ، وتنظر بين يدي من تقوم ومن تناجي ، وتستحي أن تناجي مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا ، وخبائث الشهوات ، وتعلم أنه مطلع على سريرتك ، وناظر إلى قلبك ، وإنما يتقبل صلاتك بقدر خشوعك وتواضعك وتضرعك ، وتعبد الله في صلواتك كأنك تراه ، فإن لم تحضر قلبك بهذا الحضور ، لقصور معرفتك بجلال الله ،فتقدر أن رجلا صالحاً من وجوه أهل بيتك ينظر إليك ، ليعلم كيف صلاتك ، فعند ذلك تحضر قلبك وتسكن جوارحك ، ثم ترجع إلى نفسك وتقول : ألا تستحين من مولاك ، فإذا قدرت اطلاّع عبد ذليل من عباده عليك ، وليس بيده ضرك ولا نفعك ،

---

(١) ن . م . ص ٢٩٨ .

خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ؟ ثم إنك تعلمين أنه مطلع عليك ، ! ألا تخشعين لعظمته ، أهو أقل عندك من عبد من عباده ؟! فما أشد طغيانك وجهلك ؟ وما أعظم عداوتك لنفسك ؟ فتعالج قلبك ، لتكون بهذه الحيل فعساه يحضر معك في صلاتك ، فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت ، وأما ما أتيت به مع الغفلة فهو إلى الاستغفار والتكفير أحوج .

آداب الصلاة :

فإذا قمت إلى الصلاة تقوم بالوقار والخشوع ، واضعاً يديك على فخذيك ، بإزاء ركبتيك ، مفرجاً بين قدميك ، بقدر ثلاث أصابع منفرجات إلى شبر ، ناظراً إلى موضع سجودك ، غير رافع بصرك إلى السماء ، مخطراً ببالك أنها صلاة مودع ، ثم اقصد أداء فريضة الصبح لله تعالى ، وقارن النية بإحدى التكبيرات السبع الافتتاحية واجعلها تحريمة ، رافعاً بكل منها يديك ، مستقبلا بكفيك القبلة ، ضاماً أصابعك سوى الإبهامين ، غير متجاوز بكفيك أذنيك ، مبتدئاً بالتكبير حال ابتداء الرفع ، منتهياً بانتهائه ، وتأتي بين التكبيرات السبع بالأدعية الثلاثة ، فبعد الثالث تقول : (اللهم أنت الملك الحق لا إله إلا أنت سبحانك ، إني عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)[1] ، وبعد الخامسة : (لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهديّ من هديت ، لا ملجأ ولا منجى إلا إليك ، سبحانك عالم الغيب والشهادة ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين)[2] .

ثم تقول : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، تخافت بها ، ثم اقرأ :

---

(١) مجلد ٤ ، ص (٧٢٣ - ٧٢٤) ، ح ١ .
(٢) مجلد ٤ ص ٧٢٣ - ٧٢٤ ح ١ .

الحمد لله مرتلاً ، وابهر بها مراعياً للوقوف في مواضعه ، محضراً قلبك ، متدبراً معانيها ، وتسكت بعدها بقدر نفس ، ثم تقرأ سورة كذلك ، وينبغي أن تكون سورة النبأ أو الدهر أو القيامة أو ما شابهها في الطول ، وتسكت بعدها كما تسكت قبلها ، ثم ترفع يدك كرفعك في السبع ، وتقول : (الله اكبر) .

ثم اركع واضعاً يمناك على ركبتك اليمنى قبل يسراك ، ملصقاً لهما بأطراف أصابعك مفرجات رادّاً لهما إلى خلف ، مستوياً ظهرك ، ماداً عنقك مغمضاً عينيك ، أو ناظراً إلى بين قدميك ، ثم تقول : (اللهم لك ركعت ولك أسلمت ، وبك آمنت وعليك توكلت ، وأنت ربي ، خشع لك سمعي وبصري ، وبشري ولحمي ودمي ، ومخي وعصبي وعظامي ، وما أقلته قدماي ، غير مستنكف ولا مستكبر ولا مستحسر)[1] ، ثم قل : (سبحان ربي العظيم وبحمده) ، تقولها سبعاً أو خمساً أو ثلاثاً .

ثم انتصب ، وتقول : (سمع الله لمن حمده) ثم تكبر قائماً ، واهْوِ للسجود بخضوع وخشوع ، متلقياً الأرض بكفيك قبل ركبتيك ، وتمنح في سجودك بيديك ، باسطاً كفيك ، مضمومي الأصابع حيال منكبيك ووجهك ، غير واضع شيئاً من جسدك على شيء منه ، ممكناً جبهتك من الأرض ، وأفضلها التربة الحسينية على صاحبها السلام ، جاعلاً أنفك ثامن مساجدك السبعة ، مرغماً به ، ناظراً إلى طرفه ، ثم تقول : (اللهم لك سجدت وبك آمنت ، ولك أسلمت وعليك توكلت ، آمنت ربي ، سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره ، الحمد لله رب العالمين ، تبارك الله أحسن الخالقين) ، ثم قل : (سبحان ربي الأعلى وبحمده) ، تقولها سبعاً أو خمساً أو ثلاثاً . ثم ارفع رأسك ، وتكبر ، وتجلس متوركاً ، وتقول : (أستغفر الله ربي وأتوب

---

(١) مفتاح الجنات ، ج ١ ص ٥٣ ـ ٥٤ .

إليه) ، ثم تقول : (اللهم اغفر لي وارحمني ، واجبرني وادفع عني وعافني ، إني لما أنزلت إلي من خير فقير ، تبارك الله رب العالمين)[1] ، ثم تكبر ، واسجد السجدة الثانية ، كالأولى ، ثم ارفع رأسك ، وتجلس متوركاً لهنيئة ، وهي جلسة الاستراحة ، ثم قم رافعاً ركبتيك قبل كفيك ، معتمداً عليهما ، قائلاً : (بحول الله وقوته أقوم وأقعد وأركع وأسجد) .

واذا انتصبت فاقرأ الحمد وسورة كما مر في الأولى . وأفضلهما التوحيد ، ثم تسكت بغير نفس ، ثم تكبر للقنوت وتقنت بكلمات الفرج ، رافعاً كفيك تلقاء وجهك ، مستقبلاً باطنهما السماء ، ناظراً إليهما ، ضاماً أصابعهما ما عدا الإبهامين ، وتقول بعدهما : (اللهم من كان أصبح وأمسى وله ثقة أو رجاء غيرك ، فأنت ثقتي ورجائي ، يا أجود من سئل ويا أرحم من استرحم ، ارحم ضعفي وقلة حيلتي ، وامنن علي بالجنة وفك رقبتي من النار ، وعافني في نفسي وفي جميع أموري ، برحمتك يا أرحم الراحمين)[2] ، ومن أراد التطويل في القنوت ، فليضف إلى ذلك ما شاء ، ثم ترفع يدك بالتكبير .

واركع واسجد السجدتين ، كما مر ، ثم اجلس للتشهد متوركاً ناظراً إلى حجرك ، وتقول : (بسم الله وبالله وخير الأسماء لله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة ، وأشهد أن ربي نعم الرب ، وأن محمداً نعم الرسول ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، وتقبل شفاعته في أمته وارفع درجته) . ثم تحمد الله مرتين أو ثلاثاً ، والواجب منها الشهادتان والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ناوياً الخروج عن الصلاة ، فتقول :

---

(١) ن . م ، ص ٥٤ .

(٢) ب . م ، ص (٥٧ ـ ٥٨) .

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :) ، قاصداً به الأنبياء والأئمة والحفظة ، مومياً بمؤخر عينيك إلى يمينك ، هذا كله عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم .

آداب صلاة الجماعة :

يشترط في إمام الصلاة العدالة الظاهرة ، أي كونه غير معلوم الفسق ، وينبغي أن يكون أفضل القوم في العلم والقراءة ، ويسوي الصفوف أولاً ، وينوي الإمامة لينال الفضل ، فإن لم ينو صحت صلاة القوم وإذا نووا الاقتداء ، ونالوا فضل القدوة ، وأن يرفع صوته بالأذكار ، سوى الست الافتتاحية المستحبة ودعواتها .

ولا يرفع المأموم صوته إلا قدر ما يسمع نفسه ، ولّا يقرأ خلف الإمام المرضي فإنه حرام . إلا إذا لم يسمع في الجهرية ولا همهمة ، ويذكر الله في السرية حال قراءة الإمام ، ولا يتقدم على الإمام في شيء من الأفعال والأذكار ، ولا المكان ، بل إما أن يساويه أو يتأخر عنه ، والتأخير أفضل ، وإن كان واحداً ، أقام عن يمين الإمام ولا يقف وحده ، بل يدخل الصف أو يجر إلى نفسه غيره ويتم الخلل ، ففي الحديث : « ما من خطوة أحب إلى الله من خطوة تمشيها تصل بها صفاً »(١) ، ويدرك الركعة بإدراك الركوع ، ويجعل أول صلاته فيتم ما بقي عليه في أولييه ، إن كانتا أخيرتي الإمام ، وإن لحقه في سجدته الأخيرة نال الفضل ، ويستأنف صلاته ، وإن كان في التشهد الأخير يتعبد ناوياً ، ويقوم من غير تجديد النية ، ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء ، فإنه خيانة ، ولا يقوم مَن مصلاه حتى أن يتم المسبوقون صلاتهم ، ويصلي صلاة أضعف من خلفه ، فإن التخفيف في الجماعة يؤكد فيه .

---

(١) الخصال ، ج ١ ، ص ٢٦ .

آداب التعقيب بعد الصلاة :

فـإذا فرغت من الصـلاة ، تشرع في التعقيب ، فـإنه أفضـل من الصـلاة تنفلاً ، وأبلغ في طلب الرزق من الضـرب في البلاد ، والأذكـار الواردة فيـه عن أصحـاب العصمة كثيـرة جداً ، فتـطلب من مظانّها . وأفضلهـا تسبيح الـزهراء عليها السلام ، وهـو أفضل من صـلاة ألف ركعة في كـل يوم ، كـذا روي عن الصادق عليه السلام .

إذا وجدت من نفسك كـلالة فـاقطع التعقيب . ولا تكلفهـا إكمالـه دون ميلها إليه ، وإقبالها عليـه ، فإن التـوجه والإقبـال روح العباد والـدعاء . وتجـلّ في مصلاك بعد فـراغك من صـلاة الصبح إلى أن تـطلع الشمس ، وإن لم تكن مشتغلا بالتعقيب ، فإنه ستر من النار ، قال بعض العلماء :ولتكن أوقاتك بعد الصـلاة إلى طلوع الشمس ، مـوزعـة عـلى أربـع وظـائف ، وظيفـة في الأذكـار والتسبيحـات تكررهـا في مسبحة ، ووظيفـة في الـدعـوات ، ووظيفـة في قـراءة القرآن ، ووظيفة في التفكر في ذنوبـك وخطايـاك ، وتقصيرك في عبـادة مولاك ، وتعـرضك لعقـابه الأليم وسخـطه العظيم ، وتـرتيب تدبيـرك أوزارك في جميـع يومك ، لتـدارك به مـا فرط من تقصيـرك ، وتحذر بـه من التعرض لسخط الله في يومك ، فتنـوي الخير لجميـع المسلمين ، وتعـزم أن لا تشتغل في جميـع نهارك إلا بـطاعـة الله تعـالى ، وتفضـل في قلبـك الـطاعـات التي تقـدر عليهـا وتختـار أفضلهـا ، وتتأمل في تهيئة أسبـابها ، لتشتغـل بهـا ، ولا تـدع التفكـر في قـرب الأجل ، وحلول الموت القاطع للأمل ، وخـروج الأمر من الاختيـار ، وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار .

آداب سجدتي الشكر :

إذا فـرغت من التعقيب ، فتسجـد سجـدتي الشكـر ، وتـطيـل فيهـما ، وتفتـرش ذراعيك ، وتلصق صـدرك وبـطنـك بـالأرض ، وتبـالـغ في التضـرع

والدعاء ، وتأتي بالأذكار المروية فيهما عن مولانا الكاظم عليه السلام . منها ما روي أنه كان يقول فيهما بصوت حزين ، ودموعه تجري :

[« عصيتك ربي بلساني ، ولو شئت ـ وعزتك ـ لأخرستني ، وعصيتك ببصري ، ولو شئت ـ وعزتك ـ لأكمهتني ، وعصيتك بسمعي ، ولو شئت ـ وعزتك ـ لأصممتني ، وعصيتك بيدي ، ولو شئت ـ وعزتك ـ لجذمتني ، وعصيتك بفرجي ، ولو شئت ـ وعزتك ـ لعقمتني ، وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها علي ، وليس هذا جزاءك مني » ، ثم تقول :

« العفو . . العفو » ، مائة ألف مرة ، ثم تلصق خدك الأيمن بالأرض ، وتقول ثلاث مرات بصوت حزين : « بوأت إليك بذنبي ، عملت سوءاً وظلمت نفسي ، فاغفر لي ذنبي ، فإنه لا يغفر الذنوب غيرك يا مولاي » ، ثم تلصق خدك الأيسر بالأرض ، وتقول ثلاث مرات : « ارحم من أساء واقترف واستكان واعترف »[1] .

آداب صدر النهار :

وما تعمل في صدر النهار التصدق بمهما تيسر وإن كان حقيراً ، فإن البلاء لا يتخطاها ، ويقي الله بها شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم ، وتمسح وجهك بماء الورد ، كي لا يصيبك في ذلك اليوم بؤس ولا فقر ، وتأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء ، لئلا تقتل بعلة الموت ، ثم تتغذى بنية التقوى على العبادة ، بآدابها وأدعيتها ، بأن تغسل يديك وتجلس على بسارك جلسة العبد من غير تربع ، وتسمي وتحمد الله على كل لون ، بل كل إناء ،

---

(١) وسائل الشيعة مجلد ٤ ص (١٠٧٩ ـ ١٠٨٠) ، ح ٥ ، وفي المصدر (لكنعتني) بدل (لجذمتني) وسقط (وعصيتك برجلي ولو شئت لجزمتني) .

وتقول عند الشروع فيه :

« الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم ، ويجير ولا يجار عليه ، ويستغني ويفتقر إليه ، اللهم لك الحمد على ما رزقتنا من نعام وإدام في يسر وعافية ، من غير كد ولا مشقة ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله رب الأرض والسماء ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، اللهم أسعدني في مطعمي هذا بخير وأعذني من شرّه ، وأمتعني بنفعه ، وسلمني من ضره »(١) .

وتكرر حمداً لله ـ سبحانه ـ في أثناء الأكل ، وتبدأ بالملح وتختتم به ، أو بالخل ، ولا تأكل اللحم في اليوم الواحد مرتين ، وتأكله في كل ثلاثة أيام ، ولا تتركه أربعين يوماً ، ولا تهتك العظم ، بل تبقي فيه بقية للجن ، وتطيل الجلوس على المائدة ، وتصغر اللقم ، وتجود المضغ ، وتقلل النظر على وجوه الجلساء ، وتلعق الأصابع والقصعة ، وتقول عند الفراغ : « الحمد لله الذي أطعمنا في جائعين وسقانا في ظمآنين ، وكسانا في عارين ، وهدانا في ضالّين ، وحملنا في راجلين ، وآوانا في ضامين ، وأخدمنا في غامين ، وفضلنا على كثير من العالمين »(٢) .

ثم تخلل وتقذف ما خرج من بين الأسنان ، وتأكل ما يشتهيه أهلك ، لا ما تشتهيه أنت دونهم . وإن شربت تقول عند الشروع : « الحمد لله منزل الماء من السماء ، ومصرف الأمر كيف يشاء ، وباسم الله خير الأسماء »(٣) ،

---

(١) مكارم الأخلاق ، ص ١٤٤ .

(٢) الوسائل مجلد ١٦ ، ص ٤٨٦ ، ح ١ وفي المصدر (وفضلنا على كثير من العالمين) زائدة .

(٣) مكارم الأخلاق ، ص ١٥١ .

وتقول بعده : « الحمد لله الذي سقانا ماء عذباً ، ولم يجعله أجاجاً بذنوبي »(١) .

ثم تذكر الحسين عليه السلام ، وتلعن قاتليه ، وإن شربت بثلاث أنفاس ، وتحمد الله في كل نفس ، وجبت لك الجنة ، إلا أن يكون الناول حراً فبنفس واحد ، ولا تكثر من شرب الماء ، فإنه مادة لكل داء ، ولا تشرب عبّاً ولا من جانب العروة ، ولا موضع الكسر ، بل تشرب مصّاً ومن شفتك الوسطى ، وقائماً بالنهار وجالساً بالليل .

آداب ما بقي من الأوقات من صدر النهار :

ثم ما فضل مما ذكر من أوقاتك ، فلك فيها أربع حالات على ما ذكره بعض العلماء :

الحالة الأولى :

وهو الأفضل ، أن تنصرف إلى طلب العلم النافع في الدين ، دون الفضل الذي أكب الناس عليه وسموه علماً ، والعلم النافع ما يزيد في خوفك من الله ، ويزيدك بصيرة في عيوب نفسك ، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك ، ويقلل من رغبتك في الدنيا ، ويزيد في رغبتك في الآخرة ، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها ، ويطلعك على مكائد الشيطان وغروره ، وكيفية تلبيسه على العلماء السوء ، حتى عرضهم لمقت الله وسخطه ، حيث أكلوا الدنيا بالدين ، واتخذوا الوسيلة إلى أخذ أموال السلاطين ، وأكل أموال الأوقاف واليتامى والمساكين ، وصرف همتهم طول نهارهم إلى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق ، واضطرهم بذلك إلى المراءاة والممارة والمناقشة

(١) ن . م ، ص ١٥١ .

والمباهاة .

وقد جمع العلماء رحمهم الله في هذا الفن ، من العلم النافع كتباً ، فإن كنت من أهله ، فحصله واعمل به ، ثم علّمه وادع إليه ، فمن علم ذلك وعمل به ودعا إليه ، فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء ، فإذا فرغت من ذلك كله ، وفرغت من إصلاح نفسك ظاهراً وباطناً ، وفضل شيء من أوقاتك ، فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب من الفقه ، لتعرف به الفروع النادرة في العبادات ، وطريق التوسط بين الخلق والخصومات ، عند إكبابهم على الشهوات ، فذلك أيضاً بعد الفراغ من هذه المهمات من جملة فروض الكفايات كما يأتي .

فإن دعتك نفسك إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار ، اشتغالا بذلك ، فاعلم أن الشيطان قد دس إلى قلبك الداء الدفين ، وهو حب المال والجاه ، فإياك أن تغتر به ، فتكون ضحكة له ، فيهلكك ويسخر بك ، وإن جربت نفسك مدة في الأوراد والعبادات ، فكانت لا تستقلها كسلاً عنها ، ولكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ، ولم ترد به إلا وجه الله ، فذلك أفضل من نوافل العبادات ، مهما صحت النية ، ولكن الشأن في صحة النية ، فهي معدن غرور الجهال ومزلة أقدام الرجال .

الحالة الثانية :

أن لا تقدر على تحصيل العلم ، ولكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والقراءة والتسبيحات والصلاة ، فذلك من درجات العابدين وسير الصالحين ، وتكون بذلك إن شاء الله من الفائزين .

الحالة الثالثة :

أن تشتغل بما يصل به خير المسلمين ، ويدخل به سرور على قلوب

المؤمنين ، أو تتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين ، كخدمة الفقهاء والعلماء من أهل الدين ، والتردد في أشغالهم ، والسعي في إطعام الفقراء والمساكين ، والتردد مثلاً على المرضى بالعيادة ، وعلى الجنائز بالتشييع ، فكل ذلك أفضل من النوافل ، فإن هذه عبادات ، وفيها رفق للمسلمين .

الحالة الرابعة :

أن لا تقوى على هذا واشتغلت بحاجتك ، اكتساباً على نفسك وعلى عيالك ، وقد سلم المسلمون منك ، وأمنوا من لسانك ويدك ، وسلم منك دينك إذا لم تركب معصية ، فتنال بذلك درجة أصحاب اليمين ، إذا لم تتمكن من الترقي إلى مقامات السابقين ، وهذه أقل الدرجات في مقامات الدين . وما بعد هذا فهي مراتع الشيطان .

وإياك ان تشتغل ـ والعياذ بالله ـ بما يهدم دينك ، أن تؤذي عبداً من عباد الله ، فهذه رتبة الهالكين ، فإياك أن تكون في هذه الطبقة.

واعلم أن العبد في حق دينه : إما سالم ، فهو مقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي ، أو رابح ، وهو المتطوع بالمقربات والنوافل ، أو خاسر ، وهو المقصر في اللوازم . فإن لم تقدر أن تكون رابحاً فاجتهد أن تكون سالماً ، وإياك أن تكون خاسراً .

وللعبد في حق سائر العباد ، ثلاث درجات : ـ

الأولى : أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة ، وهو أن يسعى في أغراضهم وفقاً لهم ، وإدخالاً للسرور على قلوبهم .

الثانية : أن ينزل منزلة البهائم والجمادات في حقهم ، فلا ينيلهم خيره ، ولكن يكف عنهم شره .

الثالثة : أن ينزل منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات ، لا يرجى خيره ، ويتقى شره ، فإن لم تقدر أن تلحق بأفق الملائكة ، فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى مراتب العقارب والحيات ، فإن رضيت لنفسك أدنى من أعلى علّيينّ ، فلا ترض لها بالهوي في أسفل السافلين ، فلعلك أن تنجو كفافاً ، لا عليك ولا إليك ، فعليك في بياض نهارك أن لا تشتغل إلا بما ينفعك في معادك ، ولمعاشك الذي لا تستغني عن الاستعانة به على معادك .

فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس ، وكنت لا تسلم ، فالعزلة أولى بك ، فعليك بها ففيها السلام ، فإن كانت الوساوس في العزلة تجاذبك إلى ما لا يرضاه الله تعالى ، ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادة ، فعليك بالنوم ، فهو أحسن أحوالك وأحوالنا ، إذا عجزنا عن الغنيمة ، فرضينا بالسلامة في الهزيمة ، فواحسرتاه على مَن سلامة حياته في تعطيل حياته ، إذ النوم أخو الموت ، وهو تعطيل للحياة والتحاق بالجمادات .

آداب الظهر :

ينبغي ان تستعد قبل الزوال لصلاة الظهر ، فتقدم القيلولة ، إن كان لك قيام بالليل وسهر في الخير ، فإن فيها معونة على القيام والصيام . والقيلولة من غير قيام كالتسمر من غير صيام بالنهار ، ثم تجتهد أن تستيقظ قبل الزوال ، وتتوضأ وتحضر المسجد وتصلي التحية ، وتنتظر الوقت . ففي الحديث « إذا زالت الشمس ، فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان ، واستجيب الدعاء ، فطوبى لمن رفع له عمل صالح »[1] ، وفي رواية : إنها

(١) من لا يحضره الفقيه ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ح ١٢ .

الساعة التي يؤتى فيها بجهنم يوم القيامة ، فما من مؤمن يوافق تلك الساعة أن يكون ساجداً أو راكعاً أو قائماً ، إلا حرم الله جسده على النار .

وينبغي القيام إلى الصلاة في أول وقتها ، فريضة كانت أو نافلة ، إلا ما استثني ، فإن لأول الوقت فضلاً على آخره ، كفضل الآخرة على الدنيا ، وأول الوقت رضوان الله ، وآخر الوقت عفو الله ، وأول ما تفعله عند تحقق الزوال ، أن تقول : « سبحان الله ولا إله إلا الله ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبّره تكبيراً »(١) . ثم بادر إلى الوضوء ، ثم تشرع في نافلة الزوال الثماني ركعات ، المسماة بصلاة الأوّابين ، وتقول بعد كل ركعتين منها : « اللهم إني ضعيف فقوّ برضاك ضعفي ، وخذ الخير بناصيتي ، واجعل الإيمان منتهى رضائي ، وبارك فيما قسمت لي ، بلغني برحمتك كل الذي أرجو منك ، واجعل لي ودّاً وسروراً للمؤمنين وعهداً عندك »(٢) ، وتصلي الأخيرتين منها بين الأذانين ، لتفصل بهما بينهما ، وتقول بعد الإقامة : « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، بلغ محمداً صلى الله عليه وآله الدرجة والوسيلة ، والفضل والفضيلة ، بالله أستفتح وبالله أستنجح ، وبمحمد صلى الله عليه وآله أتوجه ، اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، واجعلني بهم عندك وجيها في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين »(٣) .

ثم اشتغل بصلاة الظهر ، مراعياً ما راعيته في صلاة الصبح من الأعمال ، وخافت في القراءة ما عدا البسملة ، وتقرأ في الركعة الأولى :

---

(١) اصول الكافي ج ٢ ، ص ٥٢٦ ، ح ١٤ .
(٢) مفتاح الجنات ، ج ١ ، ص ٥٠ .
(٣) ن . م ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

الشمس والأعلى أو ما شابهها في الطول ، وفي الثانية التوحيد ، وانهض من التشهد الأول آتياً بما مر عند نهوضك إلى ثانية الصبح ، واقرأ الحمد ، أو سبح التسبيحات الأربع ، أو ثلاثاً منها ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، سيما الأول ، فإن ثلثتها وأضفت إليها الاستغفار فهو أفضل ، وأقله : سبحان الله ثلاثاً ، ثم تكبر للركوع رافعاً كفيك كما مر ، واركع واسجد على قياس ما مر ، ثم انهض وأت بركعة أخرى كذلك ، ثم تشهّد وسلم وتعقب بالتعقيبات العامة والخاصة بالظهر ، كما هي مذكورة في مواضعها ، ثم تسجد سجدتي الشكر ، وتقول فيهما ما مر في الصبح ، أو ذكراً آخر ، ثم تقوم إلى ثماني ركعات العصر ، مراعياً ، ثم تؤذن ، وتقيم ، وتفصل بينهما بسجدة ، ثم تدعو فيها بما مر .

ثم اشتغل بصلاة العصر ، مراعياً جميع آداب السابقة ، وتقرأ في الأولى مثل الفتح والتكاثر ، وفي الثانية التوحيد ، وتأتي بالتعقيبين والسجدتين ، وآخر ما تدعو به أن تقول : (اللهم إني وجهت وجهي إليك ، وأقبلت بدعائي عليك ، راجياً إجابتك ، طامعاً في مغفرتك ، طالباً ما أوجبت به على نفسك ، مستنجزاً وعدك ، إذ تقول : ادعوني استجب لكم ، فصل على محمد وآل محمد ، وأقبل إلي بوجهك ، وارحمني واستجب دعائي يا إله العالمين) .

تنظيم الأوقات :

وينبغي أن لا تكون أوقاتك مهملة ، فتشتغل في كل وقت بما اتفق وكيف اتفق ، بل ينبغي ان تحاسب نفسك ، وترتب وظائفك في نهارك وليلك ، لكل وقت شغل لا يتعداه ، أو لا تودع فيه سواه ، تظهر بركة الأوقات ، فأما من ترك وقته مهملا إهمال البهائم ، لا يدري بماذا يشتغل في كل وقت ، فتنقضي أكثر أوقاته ضائعة ، وأوقات عمرك رأس مالك ، وعليه

تجارتك ، وبه وصولك إلى نعيم الأبد في جوار الله تعالى ، وكل نفس من أنفاسك جوهرة لا قيمة لها ، فما فات فلا عود له ، فلا تكن كالحمقى ، الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم ، فأي خير في مال يزيد وعمر ينقص ، فلا تفرح إلا بزيادة العلم والعمل ، فإنهما رفيقان يصحبانك في القبر ، حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك .

آداب المغرب :

إذا اصفرت الشمس ، فاجتهد أن تعود إلى المسجد قبل الغروب ، وتشتغل بالتسبيح والاستغفار ، فإن فضل هذا الوقت كفضل ما قبل الطلوع . قال تعالى : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** ﴾[١] ، وإذا تحققت دخول الوقت ، أتيت بكلمة التوحيد عشر مرات ، كما مرت ، وتبادر إلى الصلاة ، فإن وقت فضيلتها ضيق ، وتفصل بين أذانيها بسكتة أو جلسة ، تدعو فيها ، ثم افتتح الصلاة مراعياً الآداب السابقة ، وتختار من السور ما قرأت في العصر ، وتأتي بعدها بتسبيحة فاطمة الزهراء ، وتقوم إلى أربع ركعات النافلة ، فإن وقتها ضيق ، وإن أحببت التطويل في التعقيب أتيت به بعدها ، فإذا تحققت ذهاب الشفق المغربي ، فينبغي أن تبادر إلى الأذان والإقامة ، آتياً بالأدعية قبل الإقامة وبعدها ، ثم اشرع في العشاء ، مفتتحاً داعياً كما مر ، وتقرأ فيها ما قرأته في الظهر ، وتطيل القنوت والتعقيب لأنك في سعة من الوقت ، إلا إذا كنت إماماً ، فلا تطيل في القنوت ، ثم تسجد سجدتي الشكر ، وتبالغ فيهما في الدعاء والتضرع ، وتأتي بالأذكار المروية فيهما ، ثم تصلي ركعتي الوتيرة جالساً ، تقرأ في الأولى الملك أو الواقعة ، وفي الثانية التوحيد ، ثم تقرأ الآيتين من آخر البقرة ، ففي الحديث:

---

(١) طه : ١٣٠ .

« إنهما من كنوز الجنة ، كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق » ، ومن قرأهما بعد العشاء الآخرة ، اجزأتاه من قيام الليل ، وفي رواية : من قرأهما في ليلة لكفتاه .

آداب النوم :

فإذا أردت النوم فابسط فراشك ، مستقبل القبلة ، ونم على يمينك ، كما يضطجع الميت في اللحد .

واعلم : أن النوم مثل الموت ، واليقظة مثل البعث ، فلعل الله يقبض روحك في ليلتك ، فكن مستعداً للقائه ، بأن تنام على طهارة ، قال الصادق (ع) : « من تطهّر ثم أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده »[1] وتكون وصيتك مكتوبة تحتْ وسادتك ، وتنام تائباً عن الذنوب مستغفراً ، عازماً على أن لا تعود إلى معصية ، واعزم على الخير لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى ، وتذكر أنك مضطجع في اللحد كذلك ، وحيداً فريداً ، ليس معك إلا عملك ، ولا تجزى إلا بسعيك ، ولا تستجلب النوم تكلفاً ، بتمهيد الفراش الوطيئة ، فإن النوم تعطيل للحياة ، إلا إذا كانت يقظتك وبالاً عليك ، ونومك سلامة لدينك .

واعلم : أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فلا يكون نومك بالليل والنهار اكثر من ثماني ساعات ، فيكفيك إن عشت ستين سنة ، تضيع منها عشرين سنة ، وهو الثلث ، وتعد عند النوم مسواكك ، وطهورك ، وتعزم على قيام الليل ، وعلى القيام قبل الصبح ، فإن فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة الصلاة في آخر الليل وفي الصبح ، ليس يوقظ في كل ليلة مرة أو مرتين ، فإن قام كان ذلك ، وإلا فخج الشيطان فبال في أذنه ، أوَلا يرى

---

(١) من لا يحضره الفقيه ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ ، ح ١٣٥٣ .

أحـدكم أنه إذا قـام ولم يكن ذلك عنـه ، قـام وهـو متخبط ثقيـل كسـلان[1] ؟ ففي الحديث الصحيح عن الصـادق (ع) : [« إن في الليل سـاعة مـا يوافقهـا عبـد مسلم ، ثم يصلي ويـدعو الله فيهـا الا استجاب لـه في كـل ليلة » قيـل : أصلحـك الله ، فأيـة ساعـة من الليـل ؟ : قـال : « إذا مضى نصف الليـل إلى ثلث البـاقي »][2] ، وفي الصحيح عنـه ، كان في وصيـة رسـول الله صـلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « وعليك بصـلاة الليل ، وعليـك بصلاة الليـل ، وعليك بصلاة الليل » ، والأخبار في فضلها كثيرة جدا .

وتقول عند منامك : « باسمـك اللهم أحيـى وباسمـك أموت »[3] ، ثم تقـول : « اللهم إني أسلمت نفسي إليـك ، ووجهت وجهي إليـــك ، وفـوضت أمـري إليك ، وألجـأت ظهري إليـك ، وتـوكلت عليـك ، رهبـة منـك ورغبـة إليـك ، لا منجى منك ولا ملجـأ إلا إليـك ، آمنت بكتـابـك الـذي أنـزلت ، ورسولك الذي أرسلت »[4] ، ثم تسبح بتسبيح الزهـراء ، وتقرأ آيـة الكرسي ، ففي الحـديث : « من قرأهـا إذا أخذ مضجعـه أمنه الله عـلى نفسه وجـاره وجار جـاره والأبيات حـوله »[5] ، وآخـر الكهف : ﴿ **قل إنمـا أنا بشر مثلكم** ﴾[6] ، ففي الحـديث : « من قـرأ هـذه الآيـة عنـد منامـه سطع لـه نـور إلى المسجـد

---

(١) قوله : « فخج الشيطان بـالخاء المعجمـة والجيم ، نوع من المشي رديء ، وهو أن يتقارب صدر القدمـين ويتباعـد العقبان ، وهـو كنايـة عن سوء المجيء ، كـما أن البول في الأذن كناية عن تلاعب الشيطان به .

(٢) اصول الكافي ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ ، ح ١٠ .

(٣) ن . م . ص ٥٣٩ ، ح ١٦ .

(٤) من لا يحضره الفقيه ، ج ١ ، ص ٢٩٦ ـ ٩٧ ، ح ١٣٥٥ .

(٥) مكارم الأخلاق ص ٢٨٨ .

(٦) الكهف : ١١٠ .

الحرام ، حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له » ، وفي رواية : « ما من عبد يقرأ آخر الكهف حين ينام إلا استيقظ في الساعة التي يريدها »(١) .

أقول : وهذا من المجرّبات التي لا شك فيها . وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله وعلى الطهارة ، فمن فعل ذلك ، عرج بروحه إلى العرش ، وكتب مصلياً إلى أن يستيقظ ، فإن لم تكن على طهارة تيمم بغبار فراشك ، فإنه لا يخلو من فضيلة ، وإن وجد ماء .

تذكرة :

فإذا استيقظت فارجع إلى ما عرفته أولاً ، ؛ وداوم على هذا الترتيب بقية عمرك ، فإن شقت المداومة عليك ، فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظاراً للشفاء ، وتفكر في قصر عمرك وإن عشت مائة سنة ، بالإضافة إلى مقامك في الدار الآخرة ، وهي أبد الآباد ، وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا ، شهراً أو سنة ، رجاء أن تستريح بها عشر سنين مثلاً ، كيف لا تتحمل ذلك أياماً قلائل ، رجاء الاستراحة أبد الآباد ، ولا تطوّل أملك فيثقل عليك عملك ، وقدر قرب الموت ، وقل في نفسك : إني أتحمل المشقة اليوم ، فلعلي أموت غداً ، فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص وسن مخصوص ، ولا بد من هجومه ، والاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا ، وإنك تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة يسيرة ، ولعله لم يبق من أجلك إلا نفس أو يوم ، وقرر هذا على قلبك كل يوم ، وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوماً يوماً ، فإنك لو قدرت البقاء خمسين سنة ، وألزمتها الصبر ، لنفرت واستصعبت عليك ، فإن فعلت ذلك ، فرحت عند الموت

---

(١) أصول الكافي ، ج ٢ ص ٥٤٠ ،ح ١٧ وفي المصدر (ما من أحد ...... عند النوم إلا تيقظ بالساعة التي يريد) .

فـرحاً لا آخـر له ، وإن سـوفت وتسـاهلت جـاءك المـوت في وقت لا تحتسبـه ، وتحسرت تحسراً لا آخر له .

آداب الجمعة :

اعلم أن الجمعـة عيـد المؤمنـين ، وهـو يوم شريف ، خص الله بـه هـذه الأمة ، وفرض الجمـاعة في صـلاته تـأليفاً للقلوب وتنـظيفاً عن الـذنوب ، وإن كان أكثر المؤمنين عن هذه الفريضة العظيمة في هـذا الزمـان لفي ضلال مبـين ، وفيـه ساعـة مبهمة ، لا يـوافقها عبـد يسأل الله تعـالى فيها حـاجة إلا أعـطاه ، فينبغي أن تستعـد لهـا يـوم الخميس ، بتنـظيف الثيـاب ، وبكثـرة التسبيـح والاستغفار عشية الخميس ، فـإذا طلع عليك الفجـر ، تبكر إلى المسجـد ، بعد حلق الـرأس وقص الأظفـار وأخـذ الشـارب، والتجنب عن كـل مـا ينفــر ، والغسـل والتـزيـين بـالثيـاب البيض ، فـإنها أحب الثيــاب إلى الله ، والتـطيب بأطيب ما عندك على سكينة ووقار ، قائلاً :

«اللهم من تهيـأ وتعبأ واستعـد لوفـادة إلى مخلوق،رجاء رفـده وطلب نائله وفـواضله ونـوافله ، فــإليـك يــا سيـدي وفــادتي وإعـدادي ، وتهيئتي وتعبئتي واستعـدادي ، رجاء رفـدك وجوائـزك ونوافلك ، فـلا تخيب اليوم رجـائي ، يـا من لا يخيب عليـه سائـل ، ولا ينقصه نـائل ، فـإني لم آتك اليـوم بعمل صـالح قدمته ، ولا شفاعة مخلوق رجـوته ، ولكن أتيتـك مقرّاً بـالظلم والإسـاءة ، ولا حجة لي ولا عذر ، فأسألـك يا رب أن تعـطيني مسألتي ، وتقبلني بـرغبتي ، ولا تردني مجبوراً ولا خائباً ، يـا عظيم يـا عظيم يـا عظيم ، لا إلـه إلا أنت ، اللهم صـلّ على محمـد وآل محمد ، وارزقني خـير هذا اليـوم الذي شـرفته وعـظمته ، وتغسلني فيـه عن جميـع ذنــوبي وخــطايــاي ، وزدني من فضلك إنــك أنت

الوهاب »[1] .

واعلم : أن الناس يتسابقـون إلى الجنة بقـدر سبقهم إلى الجمعة ، ثم إذا دخلت الجامع فـاطلب الصف الأول ، فإن اجتمعت النـاس فلا تخط رقـابهم ، ولا تمـر بين أيـديهم ، واجلس بقـرب حـائط أو أسـطوانـة ، حتى لا يمـروا بـين يديك ، ولا تقعد حتى تصلي التحية ، وتنفل بعشـرين ركعة ، زيـادة عن الأيام الأخر بأربع ركعات ، وتبالغ في الدعاء وتـلاوة القرآن والخضـوع ، ومهما خـرج الإمام تقطع الصلاة والكلام ، وتشتغـل بجواب المؤدب ، ثم بـاستماع الخـطبة والاتعـاظ بهـا ، ودع الكـلام رأسـا في الخــطبـة ، ففي الخبــر : « إن من قـال لصـاحبه والإمـام يخـطب : أنصت ، أو صـه ، فقـد لغي ومن لغي فـلا جمعـة لـه »[2] ، لأن قولـه : أنصت أو صه كـلام فينبغي أن ينهى غيـره بـالإشـارة لا باللفظ ، ثم اقتد بالإمام كما سبق .

فإذا فرغت وسلمت فتشتغل بالتعقيب والأذكار المرويـة ، وتلازم المسجـد إلى المغرب أو إلى العصر ، فتكون حسن المراقبة للساعة الشـريفة ، فـإنها مبهمة في جميـع اليوم ، فعسـاك أن تدركهـا وأنت خـاشـع لله ، ولا تحضر في الجـامـع الملق بل مجالس العلم النافـع ، وهو الـذي يزيـد في خوفـك من الله ، وينقص من رغبتـك في الدنيـا ، فكل علم لا يـدعوك من الـدنيا إلى الاخـرة ، فالجهـل أعـود عليك منـه ، فاستعـذ بالله من علم لا ينفـع ، وتكثر الـدعاء عنـد طلوع الشمس وعنـد الزوال ، وعنـد الغروب وعنـد الإقامـة ، وعند صعـود الخـطيب المنبر ، وعند قيـام الناس إلى الصلاة ، فيـوشك أن تكـون الساعـة الشريفـة في بعض هذه الأوقات ، وتجتهـد أن تتصدق في هـذا اليوم ، بمـا قدرت عليـه وإن

---

(١) مفتاح الجنات، ج ١ ص ٢١١ .
(٢) مكارم الأخلاق ص ٤٢٧ .

قل ، وتجعل هذا اليوم من الأسبوع خاصة لآخرتك ، فعساه يكون كفارة لبقية الأسابيع .

عبادة الصوم :

وأما الصوم ، فلا ينبغي أن تقتصر منه على صوم رمضان ، فتترك التجارة بالنوافل ، وكسب الدرجات الغالية في الفراديس ، فتتحسر إذا نظرت إلى الصائمين ، كما تنظر في الدنيا إلى الكوكب الدري ، فهم في أعلى عليين . ومن الأيام الفائزة المتأكد صيامها أول الخميس من كل شهر وآخر خميس منه ، وأول أربعاء في العشر الثاني ، فإنها تعدل صوم الدهر ، وتذهب بوسوسة الصدر ، وهي جميع ما جرت به السنة في الصوم ، وعليها قبض رسول الله ، فإن فاتتك تقضيها ، فإن لم تفعل تتصدق بدل كل يوم بمد من طعام .

ومن التطوع صيام أول ذي الحجة ويوم الغدير ، ويوم دحو الأرض ، فيعدل كل منها صوم ستين شهراً ، والأول إلى تمام التسع صوم الدهر ، ويوم المولود والمبعث ، وهما مع الأخيرين ، هي الأربعة التي يصام فيهن ، ومنه رجب وشعبان وما تيسر منهما ، فإن رجب شهر أمير المؤمنين ، وشعبان شهر رسول الله ، كما أن رمضان شهر الله ، وصوم عاشوراء على وجه الحزن دون الفضل والتبرك .

حقيقة الصوم :

لا تظنن إذا صمت ، أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع ، ففي الحديث : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش »[1] ،

---

(١) مجمع الزوائد ، ج ٣ ، ص ٢٠ ، وفي المصدر (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش) .

بـل تمام الصيـام بكف الجوارح كلهـا عما ذكـره الله تعالى ، بـل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلى المكـاره ، واللسان عن النـطق بمـا لا يعنيـك ، والأذن عن الاستماع إلى ما حرمه الله تعالى ، فإن المستمع شريك القائـل ، فكذلـك تكف الجوارح كما تكف البـطن والفرج ، قـال الإمام الصـادق عليه السـلام : [« إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك » ، وعدّ أشيـاء غير هـذا وقال : « لا يكون يوم صومك كيوم فطرك »][1] ، وزاد في خبـر آخر « دع المـراء وأذى الخـادم »[2] وليكن عليك وقـار الصائم ، فـإن رسول الله ، سمـع امـرأة تسب جـاريتهـا وهي صـائمـة ، فـدعـا بـطعـام فقـال لهـا : « كـلي !! فقـالت : إني صائمة . فقـال : كيف تكونـين صائمـة وقد سببت جـاريتك » ؟[3] إن الصـوم ليس من طعـام وشـراب ، وفي الحـديث النبـوي : « إن الصـوم جنـة من النـار »[4] ، فإن كـان أحدكم صـائماً فـلا يرفث ولا يجهـل ، وإن امرأ قـاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم إني صائم .

آداب الإفطار :

ثم اجتهد أن تفطر عـلى طعام حـلال ، ولا تستكثر فتـزيد عـلى ما تـأكله كـل ليلة ، فلا فـرق إذا استوفيت مـا تعتاده أن تـأكله دفعـة أو دفعتـين ، وإنمـا المقصـود كسر شهوتـك وتضعيف قوتـك ، لتقوى بـذلـك عـلى التقـوى ، فـإذا أكلت عشيـة ما تـداركت به مـا فاتـك ، فلا فـائـدة في صـومـك ، وقـد ثقلت معـدتـك ، ومـا من دعـاء أبغض إلى الله ، من بـطن مـليء من حــلال ، فـإذا

---

(١) الوسائل ، مجلد ٧ ، ص ١١٦ ، ح ١ .
(٢) ن . م . ص ١٩٨ ، ح ١٢ .
(٣) ن . م . ص ١١٧ ، ٣ .
(٤) ن . م . ص ٢٩٢ ، ح ٣ وفي المصـدر هـذا (الصيـام جنـة من النار) .

عرفت معنى الصوم ، فاستكثر منه ما استطعت ، فإنه أساس العبادات ومفتاح القربات ، ففي الحديث : « قال الله تعالى : كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، وقال : والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل : وإنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي ، فالصيام لي وأنا أجزي به »[1] .

صلة الأرحام :

وأما صلة الأرحام ، فقد ورد من الحث الأكيد عليها ما لا يزيد عليه ، وكذا الوعيد على قطعها . قال الله تعالى : ﴿ **ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾[2] وفي الحديث : « إن الرحم معلقة يوم القيامة بالعرش ، تقول : اللهم صِلْ من وصلني واقطع من قطعني »[3] ، وفيه أيضاً : صلوا أرحامكم ولو بالسلام »[4] . والرحم هو القريب المعروف بالنسب ، وإن بعدت لحمته ، وجاز نكاحه . ووصلها وبرها والإحسان إليها بالمواساة والمعاونة بالنفس والمال ، وكل ما قدر عليه من الخيرات ، وقطعها ما يخالف ذلك .

حقوق الإخوان :

وأما حقوق الإخوان ، فعن أمير المؤمنين أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : للمؤمن على أخيه ثلاثون حقاً ، لا براءة له منها إلا

---

(١) البخاري ج ٣ ص ٣١ (من مجموع أحاديث متفرقة) .
(٢) الرعد : ٢ .
(٣) أصول الكافي ج ٢ ص ١٥١ ، ح ١٠ .
(٤) ن . م . ص ١٥١ ح ٣١ .

بالأداء أو العفو ، يغفر زلته ، ويرحم غربته ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلقه ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضته ، ويشهد ميّته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافي صلته ، ويشكر نغمته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حيلته ، ويقضي حاجته ، ويشفع مسألته ، ويسمت عطسته ، ويرشد ضالته ، ويرد سلامه ، ويطيب كلامه ، ويبر إنعامه ، ويصدق أقسامه ، ويواليه ولا يعاديه ، وينصره ظالماً أو مظلوماً ، فأما نصرته ظالماً فيرد على ظلمه ، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ، ولا يشتمه ولا يخذله ، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه . ويكره من الشر ما يكره لنفسه ـ ثم قال ـ سمعت رسول الله : إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه »(١) .

وعن النبي (ص) : [« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه » ، « من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله تعالى في حاجته » ، « ومن فرج عن مسلم كربته فرج الله عنه بها كربة من كرب القيامة » ، « ومن سر مسلما سره الله يوم القيامة »](٢) ، وعنه صلى الله عليه وآله : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تنابزوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال »(٣) .

وعن المعلى بن خنيس عن مولانا الصادق (ع) قال : قلت له : ما حق المسلم على المسلم ؟ قال : « سبع حقوق واجبات ، ما منها حق إلا وهو واجب ، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من

---

(١) بحار الأنوار ، ج ٧٤ ، ص ٢٣٦ ، ح ٣٦ .

(٢) مجموعة من الأحاديث المجزأة . راجع : اصول الكافي ، ج ٢ ص ١٦٦ ، ح ٥ ـ ٦ ، البحار ، ج ٧٤ ـ ص ٢٩٧ . ح ٢٨ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٣ .

نصيب !! قلت لـه : جعلت فـداك ، ومـا هي ؟ قـال : يـا معـلى إني عليـك شفيق ، وأخـاف أن تضيـع ولا تحفظ ، وتعلم ولا تعمـل !! قـال : قلت لـه : لا قـوة إلا بالله ! قـال : أيسر حق أن تحب له مـا تحب لنفسك ، وتكـره له مـا تكره لنفسك ، والحق الثاني : أن تجتنب سخطه وتتبـع مرضـاته وتـطيع أمـره ، والحق الثـالث : أن تعينـه بنفسـك ومـالـك ولسـانـك ويـدك ورجلك ، والحق الرابع : أن تكون عينه ودليله ومرآته ، والحق الخـامس : أن لا تشبع ويجـوع ، ولا تروى ويظمـأ ، ولا تلبس ويعرى ، والحق السـادس : أن يكون لـك خادم وليس لأخيـك خـادم ، فـواجب أن تبعث خـادمـك فيغسـل ثيـابـه ، ويصنـع طعـامه ، ويمهـد فراشـه ، والحق السابـع : أن تبر قسمـه وتجيب دعوتـه وتعـود مرضته ، وتشهد جنازتـه ، وإذا علمت أن له حـاجـة تبـادره إلى قضائهـا ، ولا تلجئه أن يسألكها ولكن أن تبادره مبـادرة ، فإذا فعلت ذلـك ، وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك »[1] .

وعنه عليه السلام : [« إذا مشى الرجـل في حاجـة أخيه المؤمن يكتب لـه عشر حسنـات ، وتمحى عنه عشر سيئـات ، ويرفـع لـه عشر درجـات » . قـال الـراوي : ولا أعلم إلا قال : « . . ويعـدل عشر رقبات وأفضـل من اعتكاف شهر في المسجد الحرام »][2] .

وعنـه عليـه السـلام « من نفّس عن مؤمن كـربـة نفس الله عنـه كـرب الآخـرة ، وخرج من قبـره وهو ثلج الفؤاد ، ومن أطعمـه من جوع أطعمـه الله من ثمار الجنة ، ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم »[3] .

ولنقتصرن على هذا القدر من بيان طاعات الجوارح ، ومن الله التأييد .

---

(١) اصول الكافي ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ، ح ٢ .
(٢) ن . م . ص ١٦٩ ، ح ١ .
(٣) ن . م . ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، ح ٣ .

٢ ـ باب معاصي الجوارح

تعريف عام بمعاصي الجوارح :

معـاصي الجوارح : إمـا كبائـر وإما صغـائـر ، وأمـا المكـروهـات فليست بمعاص ،، وإنما هي خـلاف الأولى وترك الأخـرى ، فهي في مقابلة النـوافل من الطاعات .

فبتـرك المعاصي ينال أصل النجاة ، وبترك المكـروهات يتـوصل إلى الفـوز بـالدرجـات . والكبائـر توجب النـار ، واجتنابهـا يكفر الصغـائر ، قـال الله عز وجـل : ﴿ **إن تجتنبوا كبـائـر مـا تنهـون عنـه نكفّـر عنكم سيئـاتكم ونـدخلكم مدخلاً كريماً** ﴾[١] . وتعيين الكبائر مشكل . وكـأن المصلحة في إبهـامها لتجنب المعاصي كلها مخافة الوقوع فيها ، وعن مولانـا الصادق عليـه السلام : « إنها مـا أوعـد الله عليها النـار في كتابـه »[٢] ، وفي رواية أخـرى : « هن في كتاب عـلي عليـه السلام سبـع : الكفر بـالله ، وقتل النفس ، وعقـوق الـوالـدين ، وأكـل

---

(١) النساء : ٣١ .

(٢) اصول الكافي ، ج ٢ ص ٢٧٨ .

الـربا بعـد البينة ، وأكـل أموال اليتيم ظلماً ، والفـرار من الـزحف ، والتعـرّب بعد الهجرة »[1] . وفي بعض الروايات بدل الكفر قذف المحصنة .

وعن الـرضـا في رسـالتـه التي كتبهـا للمـأمـون في محض الإسـلام هي : « قتـل النفس التي حرم الله تعـالى ،والزنـى والسرقـة وشـرب الخمـر ، وعقـوق الوالدين والفرار من الزحف ، وأكـل مال اليتيم ظلماً ، وأكـل الميتة والـدم ولحم الخنـزير ، ومـا أهل بـه لغير الله من غـير ضرورة . وأكـل الـربـا بعـد البينـة . والسمت والميسر وهـو القمـار ، والبخس بـالمكيـال والميـزان . وقـذف المحصنـة واللواطـة ، وشهـادة الــزور ، واليـأس من روح الله ، والأمن من مكــر الله ، والقنوط من رحمة الله ، ومعـونة الـظالمين والـركون إليهم ، واليمـين الغموس ، وحبس الحقوق من غير عسر ، والكذب والكبر والإسـراف والتبذيـر ، والخيانـة وكتمان الشهادة ، والاستخفـاف بأوليـاء الله والاستخفاف بـالحج ، والاشتغـال بالملاهي ، والإصرار على الصغائر »[2] .

القسم الأول من معاصي الجوارح :

من المعاصي : ترك الـواجبات وإتيـان البدع ، والقعـود في المساجـد جنباً أو حائضاً ، ولبس الذهب والحريـر للرجال ، والأكـل والشرب من أواني الذهب والفضة ، فمن فعل ذلك فإنمـا يخرج من بـطنه نـار جهنم . وعمل آلات اللهـو وآلات البدع ، والنظر إلى الأواني المذكورة ، لأنـه معاونـة على الإثم ، وتصـوير ذوات الأرواح ، ومن فعـل ذلك ، يعـذب يوم القيـامة حتى ينفـخ الـروح فيهـا وليس بنـافخ ، وكـذا استعمالهـا والنظر إليهـا ، وينبغي ـ على قـول ـ إذا كـانت منصوبة في جدار وستر ونحوه دون ما يوطأ منهـا ، كما ورد في الحـديث ، والبناء

---

(١) ن . م . ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، ح ٨ .
(٢) الوسائل ، مجلد ١١ ، ص (٢٦٠ ـ ٢٦١) ج ٦٣ .

رياء وسمعة ، أي فضلاً على ما يكفيه استحالة منه على جيرانه ، أو مباهاة لإخوانه ، والاستخفاف بفقير مسلم ، فمن فعل ذلك فقد استخف بحق الله ، والله يستخف به يوم القيامة إلا أن يتوب ، وحلق اللحية ، وهجاء المؤمنين وإيذاؤهم ، وإنشاء شعر يتضمن ذلك ، والغناء بما فيه ترجيع وإطراب على المشهور ، وفي الإطلاق نظر .

وفي الحديث : « المغنية ملعونة ، معلون من أكل كسبها »[١] وفي آخر : « شراؤهن حرام ، وبيعهن حرام ، وتعليمهن كفر ، واستماعهن نفاق »[٢] ، وفي آخر : « أجر المغنية التي تزف العرس ليس به بأس »[٣] .

وليس بالتي يدخل عليها الرجال ، والنياحة بالباطل ، والاستماع إليها ، والقيادة والمساحقة ، وتكلم المرأة مع غير زوجها ، وغير ذي محرم منها بأكثر من خمس كلمات مما لا بد منها ، ومباشرتها الأخرى ليس بينهما ثوب ، وتحدثها بما تخلو به مع زوجها ، وتزينها لغير زوجها ، وخروجهامن بيتها بغيرإذنه ، فإن خرجت لعنها كل ملك في السماء ، وكل شيء تمر عليه من الجن والإنس حتى ترجع إلى بيتها .

وفي الحديث : « من ملأ عينه من الحرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار ، إلا أن يتوب ، ومن صافح امرأة تحرم عليه ، فقد باء بسخط من الله ، ومن التزم امرأة حراماً قرن في سلسلة من النار مع الشيطان فيقذفان في النار »[٤] .

---

(١) ن . م ، مجلد ١٢ ، ص ٨٥ ، ح ٤ .
(٢) ن . م ، ص ٨٨ ، ح ٧ .
(٣) ن . م ، ص ٨٧ ، ح ٤ .
(٤) ن . م . ج (٨٤ ـ ٨٥) ح ٢ ، والحديث في المصدر (المغنية التي تزف العرائس لا بأس بكسبها) .

ونهى النبي أن ينظر الرجل إلى عورة أخيه المسلم ، وقال : « من أملا إلى عورة أخيه المسلم لعنه سبعون ألف ملك »[1] . ونهى المرأة ان تنظر إلى عورة المرأة ، وأن يطلع الرجل في بيت جاره ، وقال : « من نظر إلى عورة أخيه المسلم أو عورة غير أهله متعمداً ، أدخله الله مع المنافقين الذين كانوا يبحثون عن عورات المسلمين ، ولم يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله إلا أن يتوب »[2] .

القسم الثاني من معاصي الجوارح :

ومن المعاصي النظر في أحكام النجوم للحكم بها ، والكهانة والسحر ، والقيافة والشعبذة ، وفي الحديث : « ... إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهدى به في بر أو بحر ، فإنها تدعو إلى الكهانة ، المنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار »[3] ، وفي آخر : « ... والمنجم ملعون والكاهن ملعون والساحر ملعون »[4] ، وفي آخر : « من تكهن أو تكهن له فقد برىء من دين محمد »[5] .

وأنكر ابن طاووس حديث ذم التنجيم ، وجوّز فعله ، وللناس في هذا الباب كلمات سخيفة ، وتقييدات باردة ، والذي يظهر لي من النصوص ، أن الإخبار عن المغيبات على سبيل البت حرام ، إلا لنبي أو وصي نبي ، وعلى سبيل التفاؤل جائز .

---

(١) ن . م ، ص ٤٢٧ ، وفي المصدر (من تأمل ...) .
(٢) ن . م ، ص ٤٢٩ .
(٣) نهج البلاغة ، خطبة ٧٩ ص ١٠٥ .
(٤) الوسائل ، مجلد ١٢ ، ص ١٠٤ ، ح ٨ .
(٥) ن . م ، ص ١٠٨ ، ح ٢ .

والسحر كلاماً أو كتابة أو رمية أو أقساماً وعزائم ونحوها ، إن حدث بسببها ضرر على الغير ، ومنه عقد الرجل على زوجته بحيث لا يقدر على وطئها ، وإلقاء البغضاء بينهما ، ومنه استخدام الملائكة والجن ، واستنزال الشياطين في كشف المغيبات وعلاج المصاب ، واستحضارهم وتلبيسهم ببدن صبي أو امرأة ، وكشف الغائب على لسانه ، فتعلم ذلك وأشباهه وتعليمه حرام ، والتكسب به سحت ، إلا للتوقي أو لدفع المتنبأ ويجوز حله بالقرآن والأقسام ، كما في الحديث .

القسم الثالث من معاصي الجوارح :

عن أمير المؤمّنين عليه السلام : « السحت ثمن الميتة ، وثمن الكلب ، وثمن الخمر ، ومهر البغي ، والرشوة في الحكم ، وأجرة الكاهن »[1] . وعن الصادق عليه السلام : « والسحت أنواع كثيرة ، منها ما أصيب من أعمال الولاة والظلمة ، ومنها أجور القضاء ، وأجور الفواجر ، وثمن الخمر والنبيذ والمسكر ، والربا بعد البينة ، فأما الرشا في الأحكام ، فإن ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله »[2] .

ومثله ورد في اللواط ، وهو أن اللواط ما دون الدبر ، وأما الدبر فهو الكفر بالله العظيم جل اسمه ، وكما يحرم الرشا في الحكم على الآخذ ، يحرم على المعطي لإعانته على الإثم ، إلا أن يتوقف عليه تحصيل حقه ، ونهى النبي صلى الله عليه وآله عن بيع الخمر ، وأن يشترى الخمر ، وأن يسقى الخمر . قال : « لعن الله الخمر وعاصرها وغارسها ، وشاربها وساقيها وبايعها ومشتريها

(١) ن. م ، ص ٦٢ ، ح ٥ ، وفي المصدر (ومهر الزانية) بدل (مهر البغي) .
(٢) ن . م ، ص ٦٤ ، ح ١٢ .

وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه »[1] ، وقال : « من شربها لم يقبل له صلاة أربعين يوماً »[2] وإن مات وفي بطنه شيء من ذلك ، كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة خبال ، وهو صديد أهل النار ، وما يخرج من فروج الزناة ، فيجتمع ذلك في قدر جهنم فيشربها أهل النار ، فيصهر به ما في بطونهم والجلود ، ونهى عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر ، ونهى عن أكل الربا وشهادة الزور ، وكتابة الربا ، وقال إن الله تعالى ، لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه .

القسم الرابع من معاصي الجوارح :

ومن المعاصي : الغضب والسخط لغير الله ، والحمية والعصبية ، والتكبر والتبختر ، والاختيال في المشي ، واحتقار الناس ، والتفاخر والبذاء والفحش ، والبغي والفسق والفجور ، وتزكية النفس وإظهار الحسد ، والخرق والسفه . والمراء والغيبة والنميمة والاستماع إليهما ، وإشاعة الفواحش في المؤمنين ، وتجسس عيوبهم ، وسوء الظن بهم فإن بعض الظن إثم ، والبهتان والسعاية والسباب ، واللعن والطعن لغير مستحقهما ، والمكر والخديعة والغدر والغش ، والتدليس والغصب والنهب ، والذهاب بحقوق المسلمين ، والظلم والقسوة والجفاء ، والتعرب بعد الهجرة وهو مما يعد من الكبائر ، وكل ما نهى الله ورسوله عنه ، وترك الآداب والسنن النبوية بالمرة ، سوى أصل الفرائض ، فإن ذلك معصية ، فهذا أمهات المحرمات .

المكروهات : والمكروهات كثيرة لا يمكن ضبطها وحصرها ، فلنأت منها بجملة ، تكون أنموذجا لما سواها ، فمنها : الأكل على الجنابة فإنه يورث

(١) ن . م ، ص ١٦٥ ، ح ٥ .
(٢) مكارم الأخلاق ، ص ٤٢٦ .

الفقـر ، وتخفف كراهيتـه بـالمضمضـة ، وتقليم الأظفـار بـالأسنـان ، والسـواك في الحمام، والتنخم في المساجد ، وأكل سؤر الفأرة ، وجعـل المساجـد طرقـاً إلا أن يصلى فيها ركعتـين ، والبول تحت الشجـرة المثمرة ، وعـلى قارعـة الطريق في الماء الراكـد ، فمنه ذهـاب العقل ، وبـادياً فـرجه للنيـرين ، ومستقبلاً للقبلة ، وقيل بتحريمه .

والأكل بالشمال أو متكئاً ، والمشي في فرد نعل ، واتبـاع النساء الجنـائز ، ومحـو شيء من كتـاب الله بـالبـزاق وكتـابتـه بـه ، ومحـدثـاً ، وإحـراق شيء من الحيـوان بـالنـار ، وسب الـديـك فـإنـه يـوقظ للصـلاة ، وإكثـار الكـلام عنـد المجـامعـة ، فمنــه خـرس الــولـد ، وتبيت القمــامـة في البيت فـإنها مقعـدة للشيـطان ، وتبيتـه ويـده غمـرة ، فـإن فعـل وأصـابـه الشيـطان فـلا يلومن إلا نفسـه ، والاستنجـاء بـالـروث والعـظم ، والجمـاع مستقبـل القبلة ، وإجـابـة الفـاسقين إلى طعـامهم ، وإدخـال المـرأة في الحمـام معـه ، وتصفيق الـوجـه ، ومصافحة الذميّ ، وإنشاد الشعر ، وتعرف الضالة في المسجد ، وسل السيوف فيه . وضرب وجوه البهائم ، والنفـخ في الطعـام والشراب ومـوضع السجـود ، وفي الرقي ، وقتل النمل ، والوشم في وجوه البهائم ، والحلف بغير الله .

واستعمـال الأجير قبـل أن يعلم ما أجـرته ، وهجـران أخيـه المسلم أكـثر من ثلاثة أيـام ، وقيل بتحـريمه ، والبـزاق في البئر التي يشـرب منها ، والمـدح ، ففي الحديث : « احشوا في وجوه المدّاحين التراب »[1] .

ومنع الماعون للجار ، فمن فعـل منعه الله خيـره يوم القيـامة ، ووكله إلى نفسـه ، فما أسـوأ حالـه ، إلى غـير ذلـك ممـا لا يستحسن في عقـل أو شـرع أو

---

(١) ن . م ، ص ٤٢٨ .

عرف ذوي المروءة .

وفي الحديث : « لا تحقروا شيئاً من الشر وإن صغر في أعينكم ، ولا تستكثروا الخير وإن كثر في أعينكم ، فإنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار »[1] .

ولنتكلم في بيان جملة من المعاصي المذكورة على نحو ما تكلمنا في الطاعات ، مقتصرين على الأهم الأعم الأحوج إلى البيان ، على طريق كلي وقواعد جميلة ، استفدناها من بعض العلماء ، ومن الله التأييد .

الفائدة : قال بعض العلماء : اعلم : أن للدين شطرين : أحدهما : ترك المعاصي والآخر : فعل الطاعات .

وترك المعاصي هو الأشد ، لأن الطاعة يقتدر عليها كل أحد ، وترك المعاصي لا يقدر عليها إلا الصديقون ، ولذلك قيل : « المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه »[2] .

واعلم : أنما تعصي الله بجوارحك ، وهي نعمة من الله عليك ، وأمانة لديك ، فاستعانتك بنعمة الله على معاصيه غاية الكفران ، وخيانتك في أمانة أودعكها الله غاية الطغيان ، فإن أعضاءك رعاياك فانظر كيف ترعاها ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة ، بلسان ذلق ، تفضحك به على ملأ الخلق . قال الله تعالى : ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا**

(١) وسائل الشيعة ـ مجلد ١١ ، ص ٢٤٦ ، ح ٨ .

(٢) راجع : المحجة ج ٧ ص ١٢٤ وقد أخرجه عن ابن ماجه والنسائي .

يعملون ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾[2] .

فاحفظ جميع ذلك ، خصوصا أعضاءك السبعة ، فإن لها سبعة أبواب ، لكل باب منها جزء مقسوم ، ولا يتعين لتلك الأبواب إلا من عصى الله بهذه الأعضاء ، وهي : العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل .

أما العين ، فإنما خلقت لك لتهتدي بها في الظلمات ، وتستعين بها في الحاجات ، وتنظر بها في عجائب ملكوت الأرض والسماوات ، وتعتبر بما فيها من الآيات ، فاحفظها عن ثلاث : أن تنظر بها إلى محرم أو أي صورة مليحة بشهوة نفس ، أو تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار ، أو تطلع بها إلى عيب مسلم .

وأما الأذن فاحفظها عن أن تصغي بها إلى البدعة أو الغيبة أو الفحش ، أو الخوض في الباطل ، أو ذكر مساوىء الناس ، فإنها خلقت لك ، تسمع بها كلام الله سبحانه ، وسنة رسوله ، وحكمة أوليائه رضي الله عنهم ، وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم ، والنعيم الدائم ، فإذا أصغيت بها إلى شيء من المكاره ، صار مالك عليك ، أو انقلب ما كان سبب فوزك سبب هلاكك ، وهذا غاية الخسران ، ولا تظنن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع ، ففي الخبر : « إن المستمع شريك القائل ، إن المستمع أحد المغتابين »[3] .

---

(١) النور : ٢٤ .

(٢) يس : ٦٥ .

(٣) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٩١ .

أما اللسان فإنما خلق لتكثر به ذكر الله تعالى ، وتلاوة كتابه ، وترشد به خلق الله إلى طريقه ، وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك ، فإذا استعملته في غير ما خلق له ، فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه ، وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق ، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . فاستظهر عليه بغاية قوتك ، حتى لا يكبك في قعر جهنم ، ففي الحديث : إن الرجل ليتكلم بالكلمة يهوي بها في جهنم ، فاحفظ لسانك عن سبعة :

الأول : الكذب ، فاحفظ منه لسانك في الجد والهزل ، ولا تعوّد نفسك الكذب هزلاً ، فيتداعى إلى الجد ، والكذب من أمهات الكبائر ، ثم إنك إذا عُرفت بذلك ، سقطت الثقة بقولك ، فتزدريك الأعين وتحتقرك . وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب فانظر إلى كذب غيرك ، وإلى نفرة نفسك عنه ، واستحقارك لصاحبه واستقباحك له . وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك ، فإنك لا تدرك قبح عيوبك من نفسك ، بل من غيرك ، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك ـ لا محالة ـ منك ، فلا ترض لنفسك ذلك .

الثاني : الخلف في الوعد ، فإياك أن تعد بشيء ، بل يكون إحسانك للناس فعلاً لا قولاً ، فإن اضطررت إلى الوعد ، فإياك أن تخلف إلا لعجز أو ضرورة ، فإن ذلك من أمارات النفاق وخبائث الأخلاق ، قال النبي صلى الله عليه وآله : « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى ، من إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »[1] .

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٦ .

الثالث : فاحفظ اللسان من الغيبة ، فالغيبة أشد من ثلاثين ذنباً في الإسلام ، كذلك في الخبر ، ومعنى الغيبة أن تذكر إنساناً بما يكرهه لو سمعه ، فأنت مغتاب ظالم ، وإن كنت صادقاً ، وإياك وغيبة القرّاء المرائين ، وهو أن تفهم المقصود من غير تصريح ، فتقول : أصلحه الله وقد ساءني وغمني ما جرى عليه ، فنسأل الله أن يصلحنا وإياه ، فإن هذا جمع بين خبيثين ، أحدهما الغيبة ، إذ حصل به التفهيم ، والآخر تزكية النفس والثناء عليها بالترجح والصلاح ، لكن إن كان مقصودك من قولك : أصلحه الله ، الدعاء ، فادع له في السر ، فإن اغتممت بسببه ، فعلامته أنك لا تريد فضيحته وإظهار عيبه .

ويكفيك زاجراً عن الغيبة ، قوله تعالى : ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه** ﴾[1] ، فقد شبهك الله بآكل الميتة ، فما أجدرك أن تتحرز منها ، ويمنعك من غيبة المسلمين أمر ، لو تفكرت فيه ، وهو أن تنظر في نفسك ، هل فيك عيب ظاهر وباطن ؟ وهل أنت مقارف معصية سراً أو جهراً ، فإن عرفت ذلك من نفسك ، فاعلم أن عجزه عن التنزه مما نسبته إليه كعجزك ، وعذره كعذرك ، وكما تكره أن تفضح وتذكر عيوبك ، فهو أيضاً يكرهه ، فإن سترته ستر الله عليك ، وإن فضحته سلط الله عليك ألسنة حداداً ، يمزقون عرضك في الدنيا ، ثم يفضحك في الآخرة على الملأ .

فإذا نظرت إلى ظاهرك وباطنك ، فلم تطلع فيهما على عيب ونقص في دين ودنيا ، فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك ، أقبح أنواع الحماقة ، ولا عيب أعظم من الحمق ، ولو أراد الله بك خيراً لبصّرك بعيوب نفسك ، فرؤيتك

---

(١) الحجرات : ١٢ .

نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك . ثم إن كنت صادقاً فاشكر الله على ذلك ، ولا تفسده بثلب الناس والتمحص بأعرافهم ، فإن ذلك من أعظم العيوب .

الرابع : المراء والجدل ومناقشة الناس في الكلام ، وفيه إيذاء المخاطب وتجهيل له وطعن فيه ، وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزية الفطنة والعلم ، ثم هو مشوش للعيش ، فإنك لا تماري سفيها إلا وهو يؤذيك ، ولا تحارب حليماً إلا وهو يقلبك ويحقد عليك ، مخاذلة ،وقد قال(ص) : «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة »[(١)] ، ولا يخدعك الشيطان ويقل لك : أظهر الحق ولا تداهن فيه ، فإن الشيطان أبداً يجرّ الحمقاء إلى الشر في معرض الخير ، فلا تكن ضحكة للشيطان يسخر بك ، فإظهار الحق حسن مع من يقبل منك ، وذلك بطريق النصيحة في الحقيقة ، لا بطريق المماراة والفضيحة .

والنصيحة : صنعة وهيئة تحتاج فيها إلى تلطف ، وإلا صارت فضيحة ، وكان فسادها أكثر من صلاحها ، ومن خالط متفقهة العصر غلب على طبعه المراء ، وعسر عليه الصمت ، إذ ألقى إليهم علماء السوء ، أن ذلك هو الفضل ، وأن القدرة على المجادلة والمناقشة هو الذي يمتدح به ، ففر منهم فرارك من الأسد ، واعلم أن المراء سبب المقت عند الله عز وجل وعند الخلق .

الخامس : تزكية النفس . فقد قال الله تعالى : ﴿ فلا تزكّوا أنفسكم ﴾[(٢)] ،وقيل لبعض الحكماء : ما الصدق القبيح ؟! فقال : ثناء المرء

---

(١) راجع المحجة ج ٣ ، ص ٣٢٩ وقد أخرجه من الترغيب ج ١ ص ١٣١ .

(٢) النجم : ٣٢ .

على نفسه . فإياك أن تتعود ذلك ، واعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس ، ويوجب مقتك عند الله ، وإن أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك ، فانظر إلى أقرانك إذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال ، كيف يتنكر ذلك قلبك ، ويستغلظه طبعك ؟! وكيف تذمهم عليه إذا فارقتهم ؟ فاعلم أنهم أيضاً في حال تزكيتك نفسك ، يذموك في قلوبهم ويستظهرونه بألسنتهم إذا فارقتهم .

السادس : احفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله وإن ظلمك ، وكِلْ أمره إلى الله ، ففي الحديث : « إن المظلوم ليدعو على ظالمه حتى يكافيه » . ثم يبقى للظالم فضل عنده ، يطالبه به في القيامة .

السابع : المزح والسخرية والاستهزاء بالناس ، فاحفظ لسانك من ذلك ، فإنه يريق ماء الوجه ، ويسقط المهابة ، ويستجر الوحشة ، ويؤذي القلوب ، وهو مبدأ اللجاج واللداد ، ويغرس الحقد في القلوب ، ولا تمازح أحداً ، وإن مازحك غيرك فلا تجب ، وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وكن مع اللذين ﴿ **إذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً** ﴾(١) .

فهذا مجامع آفات لسانك ، ولا يعينك على ذلك إلا العزلة ، أو ملازمة الصمت إلا بقدر الضرورة ، وقد كان بعض الصحابة يضع حجراً في فيه ، ليمنعه ذلك من الكلام لغير ضرورة ، ويشير إلى لسانه ويقول : هذا أوردني الموارد . فاحترز منه ، فإنه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة .

وأما البطن : فاحفظه عن تناول الحرام والشبهة ، واحرص على طلب الحلال ، فإذا أوجدته فاحرص على أن تقصر دون الشبع ، لأنه يقسي

---

(١) الفرقان : ٧٢ .

القلب ، ويفسد الذهن ، ويبطل الحفظ ، ويثقل الأعضاء عن العبادة والعلم ، ويقوي الشهوات ، وينصر جنود الشيطان ، والشبع من الحلال مبدأ كل شر ، فكيف من الحرام ؟ وطلب الحلال فريضة على كل مسلم ، والعبادة أو العلم مع أكل الحرام ، كالبناء على السرقين ، فإذا قنعت في السنة بقميص خشن ، وفي اليوم برغيفين ، وترك التلذذ بأطيب الإدام ، ليس يعْرك من الحلال ما يكفيك ، فالحلال كثير ، وليس عليك أن تبتغي باطن الأمور ، بل عليك أن تحترز مما تعلم أنه حرام ، أو تظن أنه حرام ، ظناً عن علامة زاجرة مقرونة بالحال .

أما المعلوم فظاهر ، وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله ، ومال من لا كسب له إلا من النياحة أو بيع الخمر أو الربا أو المزامير ، حتى علمت أن أكثر ماله حرام قطعاً ، فما تأخذه من يده ، وإن أمكن أن يكون حلالاً نادراً ، فهو مظنون الحرمة . ومن الحرام المحض ما يؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف ، فمن لا يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس حرام ، فعليك معرفة الحلال والحرام ، فإنها فريضة كالصلوات الخمس .

وأما الفرج : فاحفظه من كل ما حرم الله ، وكن كما قال الله تعالى : **﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم . . . ﴾**[1] . ولا تصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر ، وحفظ القلب عن الفكر ، وحفظ البطن عن الشبع والشبهة ، فإن هذه محركات الشهوة ومغارسها .

وأما اليدان : فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلماً ، أو تتناول بهما مالاً حراماً ، أو تؤذي بهما أحداً من الخلق ، أو تخون بهما في أمانة أو وديعة ، أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به ، فإن القلم أحد اللسانين ، فاحفظ القلم عما

---

(١) المعارج : ٢٩ ، ٣٠ .

يجب حفظ اللسان عنه .

وأما الرجلان : فاحفظهما عن أن تمشي بهما إلى الحرام ، وان تمشي بهما إلى باب سلطان ، فالمشي إلى باب السلاطين الظلمة عن غير ضرورة إرهاص معصية ، فإنه تواضع وإكرام لهم ، وقد أمر الله بالإعراض عنهم ، وهو تكثير لسوادهم وإعانة لهم على ظلمهم ، وإن كان ذلك بسبب طلب من مالهم ، فهو سعي إلى حرام ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : « من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه » ، هذا غني صالح ، فما بالك بالغني الظالم ؟

وعلى الجملة ، فحركاتك بأعضائك ، فلا تحرك شيئاً منها في معصية الله أصلاً ، واستعملها في طاعة الله ، وأعلم إن قصرت فإليك يرجع وباله ، وإن تثمرت فإليك تعود ثمرته ، والله غني عنك وعن عملك ، وإنما ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾(١) .

وإياك أن تقول : إن الله رحيم يغفر ذنوب العصاة ، فإنها كلمة حق أريد بها باطل ، وصاحبها ملقب بالحماقة بتلقيب رسول الله حيث قال : « الكيّس من زان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من اتّبع نفسه وهواها وتمنى على الله الأماني »(٢) . واعلم أن قولك هذا أيضا ، هو قول من يريد أن يصير فقيهاً في علوم الدين فاشتغل بالبطالة ، وقال : إن الله كريم رحيم ، قادر على أن يفيض على قلبي من العلوم ما أفاضه على قلوب أوليائه ، من غير جهد ولا تكرار وتعليم ، وهو كقول من يريد مالاً فترك الحراثة والتجارة والكسب وتعطل ، وقال : الله كريم وله خزائن السماوات والأرض ، وهو قادر على أن يطلعني على كنز من الكنوز ، أستغني به عن الكسب ، فقد فعل

---

(١) المدثر : ٣٨ .
(٢) مستدرك الحاكم ، ج ٤ ، ص ٢٥١ .

ذلك ببعض عباده ، فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمقتهما وسخرت منهما ، وإن كان ما وصفاه من كرم الله وقدرته صدقاً وحقاً ، فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر في الدين ، إذا طلبت المغفرة بغير مسعى لها ، والله تعالى يقول : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾[1] ويقول : ﴿ **إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾[2] ويقول : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم** ﴾[3] . وإذا لم تترك السعي في طلب العلم والمال ، اعتمادا على كرمه ، فذلك لا يترك تزودك للآخرة ، فلا تغتر فإن رب الدنيا والآخرة واحد . وهو فيهما كريم رحيم ، ليس يزيد له كرم بموتك ، وإنما كرمه أن ييسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم المخلد ، بالصبر على ترك الشهوات أياماً قلائل ، وهذا نهاية الكرم ، فلا تحدث نفسك بهوسات البطالين ، واقتد بأولي الحزم والنهي من الأنبياء والصالحين ، ولا تطمع في أن تحصل مالم تزرع ، وكنت كمن صلى وصام وجاهد واتقى وغفر له .

فهذه جملة ما ينبغي أن تحفظ عن جوارحك الظاهرة ، وإعمال هذه الجوارح إنما يسترشح من صفات القلب ، فإن أردت حفظ الجوارح ، فعليك بتطهير القلب ، فهو التقوى الباطن ، والقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإن فسدت فسد لها الجسد ، فاشتغل بإصلاحه لتنصلح به جوارحك .

---

(١) النجم : ٣٩ .

(٢) الطور : ١٦ .

(٣) الانفطار : ١٣ ، ١٤ .

٣ - باب طاعات القلب

تعريف عام بطاعات القلب :

وهي صفاته الحميدة وأخلاقه الحسنة ، وهي كثيرة ، منها فرائض تنيل النجاة ، ومنها نوافل توصل إلى الفوز بالدرجات .

فمن الفرائض : تعلم العلوم الضرورية ، التي هي العقائد الحقة الدينية ، ولو إجمالا ، ومعرفة الأحكام الشرعية الواجبة عليه ولو تقليداً ، ومعرفة آفات النفس وأخلاقها الحسنة والرذيلة ، ليكتسب ويتجنب بالجملة ما شرحناه في هذا الكتاب.

وأما معرفة علم الكلام للرد على المبتدعة ، ومعرفة المسائل الفقهية ، زيادة على الواجب عيناً ، وعلم الطب وما أشبهه من الصناعات فمن الفروض الكفائية .

ومن الفروض العينية التوبة عن الذنوب كبيرها وصغيرها ، وشكر نعم الله تعالى دنياها وأخراها ، والصبر على المصائب ، والطاعات عن المعاصي والشهوات ، والزهد في زخرف الدنيا ، والتوكل على الله في الأمور وتفويضها إليه ، خصوصا الرزق ، والرضا بقضائه جل اسمه ، والتسليم لأمره ، والخوف والخشية منه ، والرجاء والطمع في رحمته ومغفرته . والنية والإخلاص

له جل وعز ، واليقين .

ومن النوافل : التفكر في مصنوعات الله ، زيادة على ما تتوقف عليه المعارف الضرورية المذكورة ، ومراقبة النفس ومحاسبتها ، زيادة على ما يتوقف عليه تحصيل الأخلاق الواجبة ، وذكر الموت ، وما بعده كذلك .

وتحصيل فضيلة الحكمة ، التي هي استقامة القوة العقلية ، من غير ميل إلى طرفي إفراط الجربزة وتفريط البله ، وما يتبعها من حسن التدبير ، وجودة الذهن ، وثقابة الرأي ، وصواب الذهن ، ومعرفة تفسير القرآن والحديث ومسائل الفقه ، زيادة على الواجب .

وتحصيل فضيلة الشجاعة ، التي هي استقامة القوة الغضبية ، من غير ميل إلى طرفي التهور وتفريط الجبن ، وانقيادها للقوة العقلية على يسر وسهولة ، وما يتبعها بالكرم والنجدة وكبر النفس والاحتمال والحلم ، والثبات والنبل والشهامة والوقار .

وتحصيل فضيلة العفة التي هي استقامة القوة الشهوية ، من غير ميل إلى طرفي إفراط الشره وتفريط الخمود ، وانقيادها للقوة العقلية على يسر وسهولة ، وما يتبعها من الحياء والسماحة والصبر ، والسخاء وحسن التدبير ، والانبساط والانتظام وحسن الهيئة ، والقناعة والهدوء والورع ، والطلاقة والمساعدة والظرف .

ولنتكلم في بيان هذه الخصال على سبيل الإجمال ، كما استفدناه من العلماء ، ومن الله التأييد .

العقائد :

أما العقائد ، فأقل ما يجب اعتقاده على المكلف ، هو ما ترجمه قول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، ثم إذا صدق الرسول ، فعليه أن

يصدقه في صفات الله ، من العلم والقدرة والإرادة والكلام وغيرها ، واليوم الآخر من الجنة والنار والصراط والميزان والحساب وغير ذلك ، وتعيين الإمام المعصوم بنصه عليه .

كل ذلك بما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد برهان ، ولا يجب عليه أن يبحث عن حقيقة الصفات ، وأن الكلام والعلم وغيرهما حادث أو قديم ، بل لو لم يخطر أمثال هذا بباله ومات ، مات مؤمناً ، ولم يكلف رسول الله العرب بأكثر من ذلك . كذا قال العلامة الطوسي في رسالة له ، وتبعه الفاضل الأردبيلي في شرحه للإرشاد .

وأقول : إن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان ، وتحصيل الاطمئنان ، كمّاً وكيفاً ، وشدة وضعفاً ، حالاً وعلماً وكشفاً ، سرعة وبطءاً ، فكلٌّ ميسر لما خلق له : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾[1] . وهم درجات عند الله ، يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات ، فكل واحد مكلف حسب فهمه وفطرته ، وبما يسع قدرته ، ولو ممزوجاً بتقليد من اعتقد فيه أهلية ذلك ، بالمعاشرة وحسن الاعتقاد ، إذا لم يرزق من العقل والفهم ما يميز به بين الحق والباطل ، والصلاح والفساد ، وإن ميز جملة من يضلّه ممن يدعوه إلى الرشاد .

والحاصل : إنه يكفي للعامي أن يحصّل العقائد الدينية إجمالاً ، ولا يجب عليه معرفة التفاصيل ، ولا النظر فيها من جهة الدليل ، زيادة على ما جاء به الرسول ، سواء في ذلك الفروع والأصول ، بل ولا تتوقف صحة عبادته على معرفة وجوب الواجب واستحباب المستحب ، بل يكفي اعتقاده بكونها طاعة لله سبحانه ، وتمييزه الطاعة عن المعصية ، وما اشتهر بين

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .

متأخري أصحابنا مما يخالف ذلك ، فلم يثبت ، إذ لا دليل عليه يعتد به ، كيف وأنى للعقول العامية والآراء الضعيفة النظر والاستدلال في المعارف .

نعم ، النظر الواجب على العامي ، أن ينظر فيمن يقلد ويعتمد عليه في دينه ، هل له أهلية ذلك ، باتصافه بالعلم والورع أم لا ؟! ويستدل على ذلك بقرائن الأحوال وشواهد الآثار الدالة على علمه وتدينه ، وإن اختلف العلماء ، أخذ يقول الأعلم والأورع ، وإن اشتبه الأمر عليه ، فهو بالخيار ، ويحتاط بها ما استطاع ، وفي الحديث الوارد في اختلاف الروايتين ، بأنها أخذت من باب التسليم والله الموفق .

التوبة :

التوبة تعرية القلب عن الذنوب ، وقد حدها بعضهم : « بأنها ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة ، تعظيماً لله وحذراً من سخطه » . فلها إذن أربع شرائط :

إحداها : ترك اختيار الذنب ، وهو أن يوطن قلبه ويجرد عزمه ، على أنه لا يعود إلى الذنب البتة ، فأما أن يترك الذنب وفي نفسه أن يعود إليه أو لا يعزم على ذلك ، بل يتردد في جنانه ، وربما يقع له العود ، فإنه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه .

الثانية : أن يتوب عن ذنب سبق عنه مثله ، إذ لو لم يكن سبق مثله ، لكان متقياً غير تائب .

الثالثة : أن الذي سبق يكون مثل ما يترك اختياره في المنزلة والدرجة ، إلا في الصورة ، ألا ترى أن الشيخ الفاني الهرم ، الذي سبق منه الزنى وقطع الطريق ، إذا أراد أن يتوب عن ذلك يمكنه التوبة لا محالة ، إذ لم يغلق عنه بابها ، ولا يمكنه ترك اختيار الزنى وقطع الطريق ، إذ هو لا يقدر الساعة على

وهو عاجز عنه غير متمكن ، لكنه يقدر على ما هو مثل الزنى وقطع الطريق في فعل ذلك ، فلا يقدر على تركه ، فلا يصح وصفه بأنه تارك له ممتنع عنْه ، المنزلة والدرجة ، كالقذف والغيبة والنميمة ، إذ جميع ذلك معاصٍ ، وإن كان الإثم يتفاوت في كل واحدة بقدرها . ولكن هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة ، وهي دون منزلة البدعة ، ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر ، فلذلك صح منه توبته عن الزنى وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب ، التي هو عاجز عن أمثالها اليوم في الصورة .

الرابعة : أن يكون اختيار ذلك تعظيماً لله سبحانه وتعالى ، وحذراً مْن سخطه وأليم عقابه ، مجرداً لا لرغبة دنيوية أو لرهبة عن الناس ، أو طلب الثناء ، أو صيت أو ضعف في النفس ، أو فقر أو غير ذلك .

فهذه شرائط التوبة وأركانها ، فإذا حصلت واستكملت ، فهي توبة صادقة ، وأما مقدماتها فثلاث :

إحداها : ذكر غاية قبح الذنوب .

والثانية : ذكر شدة عقوبة الله وأليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به .

والثالثة : ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك ، فإن من لم يحتمل حر شمس ولطمة شرطي وقرص نملة ، كيف يحتمل حر نار جهنم ، وضرب مقامع الزبانية ، ولسع حيات كأعناق البخت وعقارب كالبغال في دار الغضب والبوار ، نعوذ بالله منها ، ومن سخطه وعذابه ، فإذا واظبت على هذه الأذكار ، وعاودتها آناء الليل والنهار ، فإنها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب ، والله الموفق من فضله .

الخروج من الذنوب :

وأما الخروج من الذنوب والتخلص منها ، فاعلم أن الذنوب في الجملة ثلاثة أقسام :

أحد ها : ترك الواجبات لله عز وجل عليك ، من صلاة وصوم وزكاة أو كفارة وغيرها ، فتقضي ما أمكنك منها .

والثاني : ذنوبك بينك وبين الله سبحانه ، كشرب الخمر وضرب المزامير ، وأكل الربا ونحو ذلك ، فتندم على ذلك ، وتوطن قلبك على ترك العود إلى مثلها أبداً .

والثالث : ذنوب بينك وبين العباد ، وهذا أشكل وأصعب ، وهي أقسام ، قد تكون في المال ، وفي النفس ، وفي العرض ، وفي الحرمة ، وفي الدين .

فما كان في المال : فيجب عليك أن ترده عليه أن أمكنك ، فإن عجزت عن ذلك لعدم أو لفقر فتستحل منه ، وإن عجزت عن ذلك لغيبة الرجل أو موته ، وأمكن التصدق عنه فافعل ، فإن لم يمكنك فعليك بتكثير حسناتك والرجوع إلى الله بالتضرع والإقبال أن يرضيه عنك يوم القيامة .

وإذا ما كان في النفس فتمكّنه من القصاص مثلاً ، هو أو أولياؤه ، حتى يقتص منك أو يجعلك في حل ، فإن عجزت فبالرجوع إلى الله سبحانه ، والابتهال إليه أن يرضيه عنك يوم القيامة .

وأما العرض : فإن اغتبته أو عبته أو شتمته ، فحقك أن تكذب نفسك بين يدي من قلت ذلك عنده ، وأن تستحل من صاحبه إن أمكنك ، هذا إذا لم تخش زيادة غيظه ،وتهييج فتنة في إظهار ذلك أو تجديده ، فإن خشيت ذلك

فالرجوع إلى الله ليرضيه عنك ، والاستغفار الكثير لصاحبه .

وأما الحرمة : بأن ختنته في أهله أو ولده أو نحوه ، فلا وجه للاستحلال والإظهار ، لأنه يولد فتنة وغيظاً ، بل تتضرع إلى الله سبحانه ليرضيه عنك ، ويجعل له خيراً في مقابله ، فإن أمنت الفتنة والتهييج وهو نادر فتستحل منه .

وأما في الدين : بأن كفرته أو بدعته أو ضللته ، فهو أصعب الأمور ، فتحتاج إلى تكذيب نفسك بين يدي من قلت ذلك له ، وأن تستحل من صاحبك إن أمكنك ، وإلا فالابتهال إلى الله سبحانه وتعالى جداً ، والتندم على ذلك ، ليرضيه عنك .

وجملة الأمر ، فما أمكنك من إرضاء الخصم عملت ، وما لم يمكنك رجعت إلى الله سبحانه ، بالتضرع والتصدق ليرضيه عنك ، فيكون ذلك في مشيئة الله سبحانه يوم القيامة ، والرجاء منه بفضله العميم ، أنه اذا علم الصدق من قلب العبد ، فإنه يرضي خصماءه من خزانة فضله .

الشكر :

الشكر صرف نعم الله سبحانه لما خلقت لأجله ، وتعظيم المنعم بنعمته ، بأن لا يتوصل بها إلى معصيته ، فما أقبح حال من جعل نعمة الله سلاحاً على عصيانه ، فعليك إذن من فرض الشكر في الحقيقة ، أن يكون لك من تعظيم الله ، ما يحول بينك وبين معاصيه ، على حسب تذكر النعمة ، فإذا أتيت بذلك فقد أتيت بما هو الأصل فيه ، ثم تقابل ذلك بجد في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة ، إذ هو من حقوق النعمة ، فلا بد فيه من الاحتراز عن المعصية . والشكر يلزمك لدوام النعمة وزيادتها .

أما الدوام : فلأن قيد النعم به تدوم وتبقى ، وبتركه تزول وتحول .

قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾[1] .

وقال عز وجل : ﴿ ... فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾[2] وقال : ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾[3] .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « إن للنعم أوابد كأوابد الوحش فقيدوها بشكر » .

وأما حصول الزيادة : قال الله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنّكم ﴾[4] .

﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾[5] ، وقال ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ﴾[6] .

والسيد الحكيم إذا رأى العبد قد قام بحق نعمه ، يمن عليه بأخرى ، ويراه أهلاً لها ، وإلا فيقطع ذلك عنه .

ثم إن النعم قسمان : دنيوية وأخروية .

فالدنيوية ضربان : نعمة دفع ونعمة نفع .

فنعمة النفع : أنه أعطاك المصالح والمنافع ، وهي ضربان : الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها ، والملاذ الشهية من المطعم والمشرب والملبس

---

(١) الرعد : ١١ .

(٢) النحل : ١١٢ .

(٣) النساء : ١٤٧ .

(٤) إبراهيم : ٧ .

(٥) محمد : ١٧ .

(٦) العنكبوت : ٦٩ .

والمنكح وغيرها .

ونعمة الدفع : أن يصرف عنك المفاسد والمضار ، وهي أيضاً ضربان : أحدهما في النفس ، بأن سلمك من زمانتها وسائر آفاتها وعللها . والثاني ، رفع ما يلحقك به من ضرر ، من أنواع العوائق ، أو ما يقصدك بسوء من أنس أو سباع أو هوام .

وأما النعمة الدينية : فضربان : نعمة التوفيق ونعمة العصمة .

فنعمة التوفيق أن وفقك الله أولاً للإسلام ثم للإيمان ومعرفة أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله .

ونعمة العصمة : أن عصمك أولاً عن الشرك والكفر ، ثم عن البدعة والضلالة ، ثم عن سائر المعاصي ، وتفصيل ذلك لا يحصيه إلا السيد العالم الذي أنعم عليك ، كما قال عز وجل : ﴿ **وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾[1] ، وإن دوام هذه النعم كلها ، بعدما منّ عليك بها والزيادة عليها من كل باب ، منها ما لا يبلغه وهمك ، وكلّها يتعلق بشيء واحد : وهو الشكر والحمد لله .

الصبر :

الصبر هو حبس النفس عن الجزع .

قال الله تعالى : ﴿ **إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[2] .

وهو على أربعة أقسام : صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر عن فضول الدنيا ، وصبر على المحن والمصائب . فإذا احتملت مرارة الصبر ،

(١) النحل : ١٨ .
(٢) الزمر : ١٠ .

فصبرت في هذه المواطن الأربعة ، يحصل لك الطاعات وتبعتها في الآخرة ، ثم لا تبتلى بطلب الدنيا ومالها من الشغل في الحال والتبعة في المآل ، ثم لا يحبط أجرك على ما ابتليت به وذهب ، فيحصل أن سبّب الصبر لك الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها ، والتقوى والزهد والعوض والثواب الجزيل من الله ، وتفصيل ذلك قد لا يعلمه إلا الله .

وأما دفع المضار : فيخرجك أولاً من مذموم الجزع ومقاساته في الدنيا ، ثم وزره وعقوبته في العقبى .

وأما إن ضعفت عن الصبر ، وسلكت طريق الجزع ، فاتك كل منفعة ولحقك كل مضرة ، إذ لا تصبر على مشقة الطاعات فلا تفعل الطاعة ، أو لا تصبر على حفظها فتحبطها ، أو لا تصبر على المواظبة عليها فلا تصل إلى منزلة شريفة فيها من درجات الاستقامة ، أو لا تصبر على معصية فتقع فيها ، أو عن فضول فتشتغل به ، أو لا تصبر على مصيبة فتحرم ثواب الصبر ، وربما تكثر الجزع حتى يفوت العوض بسبب ذلك ، ويكون لك مصيبات فوت الشيء وفوت الآخرة والعوض ، وحلول المكروه وحرمان الصبر .

ولقد قيل : حرمان الصبر على المصيبة أشد من المصيبة ، فأي فائدة في شيء يذهب الحاصل الموجود ، ولا يرد عليك الذاهب المفقود .

فاجتهد أنه إذا فاتك أحدهما ، فلا يفوتك الآخر .

والكلام الجامع ما قاله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، حين عزى رجلاً فقال : « إن صبرت جرت المقادير وأنت مأجور ، وإن جزعت جرت المقادير وأنت مأزور »(١) .

---

(١) في النهج : إنه (ع) قال وقد عزى الأشعث بن قيس عن ابن له : « يا أشعث ، إن تحزن على ابنك فقد استحقت منك ذلك الرحم ، وإن تصبر ففي الله من كل مصيبة

فعليك إذا أصابتك مصيبة أو حل بك مكروه ، أن تراعي نفسك عند ذلك ، وتضبط قلبك حتى لا تجزع ، ولا تظهر منك شكاية أو قلق ، لا سيما عند الصدمة الأولى ، فإن الشأن هنالك ، والنفس متسارعة جداً إلى عادة الجزع عند ذلك ، وتقول : يا نفسي هذه وقعت فلا حيلة لدفعها ، وقد رفع الله تعالى ما هو أكثر منها ، فإن أنواع البلاء في الخزانة لكثيرة ، وإن هذه ستنقضي فلا تبقى ، وإنها سحابة ستنقشع ، فتجلدي يا نفسي قليلا تجدي لذلك سروراً طويلاً وثواباً جزيلاً ، بعد إذ لا دفع للنازل ، ولا فائدة في الجزع ، فلا مصيبة في الحقيقة مع العزاء والصبر ،فتشغل لسانك بالاسترجاع ، وقلبك بذكر ما يحصل لك عند الله في ذلك من الأجر ، وتتذكر صبر أولي العزم على المصائب العظام من الأنبياء والأولياء الأعزة على الله .
وإذا حبست عنك الدنيا في وقت فتقول : يا نفس ، هو أعلم بالحال وأرحم بك وأكرم ، وإنه يطعم الكلب في خسته ، والكافر في عداوته ، وأنا عبده العارف الموحد لا أساوي عنده رغيفاً أيضاً ، فاعلمي بالحقيقة ، إنه لم يحبس ذلك عنك إلا لنفع عظيم ، ويجعل الله بعد عسر يسراً ، فاصبري قليلا ، تري العجب من لطيف صنعه ، أما تسمع القائل يقول شعراً :

توقّع صنع ربك سوف يأتي — بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس إذا ما ناب خطب — فكم في الغيب من عجب عجيب

وقال آخر :

إذا اشتدت بك العسرى — ففكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين — إذا فكرته فافرح

خلف ، يا أشعث ، إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور » .

فاذا أجريت هذه الأفكار ونحوها ، وواظبت على ذلك بالتكرير والتمرير ، فإن ذلك يهون عليك ، إذا كان لك همة واجتهاد زماناً غير طويل إن شاء الله .

الزهد في الحرام :

الزهد في الحرام فرض ، وفي الحلال نفل .

وهو قسمان : مقدور للعبد وغير مقدور ، فالذي هو مقدور : ثلاثة أشياء : ترك طلب المفقود من الدنيا ، وتفريق المجموع منها ، وترك إرادتها واختيارها . والذي هو غير مقدور : هو برودة الشيء على قلب الزاهد . ثم المقدور مقدمة لغير المقدور ، فإذا أتى به العبد ، بأن لا يطلب ما ليس عنده من الدنيا ، ويفرق ما عنده منها ، ويترك بالقلب إرادتها واختيارها ، فإنها أورثتها تلك برودة الدنيا على قلبه ، لأجل الله وعظيم ثوابه . وهذا هو الزهد الحقيقي .

ثم اعلم أن أصعب الأمور الثلاثة ، إنما هي ترك الإرادة بالقلب ، إذ كم من تارك لها بظاهره ، محب مريد لها بباطنه ، فهو في مكافحة ومقاساة من نفسه شديدة ، والشأن كله في هذا .

ألم تسمع قوله سبحانه : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً** ﴾[1] ، علل الحكم تبقى الإرادة دون الطلب والفعل للمراد .

---

(١) القصص : ٨٣ .

وقوله تعالى : ﴿من كان يـريد حـرث الآخرة نـزد له في حـرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾[3] .

أما تـرى أن الإشـارة كلهـا إلى الإرادة ، فـأمـرهـا هـو المهم إذن ، لكن العبـد إذا واظب واستقام عـلى الأولين ، أعني : التـرك والتفريق ، فمـأمول من فضل الله تعالى أن يـوفقه لـدفع هـذه الإرادة والاختيار عن قلبـه ، إنه المفضـل الكريم عز وجل .

ثم الذي يبعث على التـرك والتفريق ، ويهـون عليك ذلـك ، ذكر آفـات الدنيا وعيوبها ، وقد أكثر النـاس من القول في ذلك ، فمنـه قول بعضهم : تـرك الدنيا لقلة غنائها وكثـرة عنائهـا وسرعـة فنائهـا وخسة شـركائهـا ، وقيل : لكن يجيئني من هـذا رائحة الـرغبة ، لأن من شكـا فراق أحـد أحب وصـالـه ، ومن تـرك شيئاً لمكـان الشركـاء فيه أخـذه لو انفـرد به ، فـالقول البـالغ فيـه ما قـال آخـر : إن الدنيـا عـدو الله عـز وجـل ، وأنت محبـه ، فمن أحب أحداً أبغض عـدوه . قال : ولأنها في أصلهـا وسخة جيفـة ، ألا ترى أن آخـرهـا إلى القـذر والفسـاد والتـلاشي والاضمحـلال ، ولكنهـا جيفـة ضمخت بـطيب ، وطليت بزينة ، فاغتر بظاهرها الغافلون ، وزهد فيها العاقلون .

---

(1) الشورى : ٢٠ .
(2) الإسراء : ١٨ .
(3) الإسراء : ١٩ .

التوكل :

التوكل يطلق في ثلاثة مواضع :

أحدها : في موضع القسمة ، وهو الثقة بالله ، فإنه لا يفوتك ما قسم لك ، فإن حكمه لا يتبدل ، وهذا واجب بالسمع .

والثاني : في موضع النصرة ، وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله عز وجل لك إذا نصرته وجاهدت ، قال الله عز وجل : ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾(1) ، وقال : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾(2) ، وقال : ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾(3) ، وهذا واجب الوعد .

والثالث : في موضع الرزق والحاجة ، فإن الله تعالى متكفل بما تقيم به بنيتك لخدمته ، وتمكن من عبادته : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾(4) أي كافيه .

وقال الصادق الأمين نبينا صلى الله عليه وآله : « لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو أخماصاً وتروح بطاناً »(5) .

وهذا فرض لازم للعبد ، بدليل العقل والسمع جميعاً ، وهذا هو الأشهر الأغلب من التوكل ، وهو معين جداً للتفرغ للعبادة وتمشية الخيرات كلها ، فإن من لا يتوكل فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله تعالى ، بسبب

---

(1) آل عمران : ١٥٩ .

(2) محمد : ٧ .

(3) الروم : ٤٧ .

(4) الطلاق : ٣ .

(5) راجع : المحجة ج ٧ ص ٣٧٩ ، وقد أخرجه عن الترمذي ، ج ٩ ص ٢٠٧ .

الحاجة والرزق والمصلحة ، إما ظاهراً وإما باطناً ، إما بطلب وكسب بالبدن ، كعامة الراغبين ، وإما بذكر وإرادة ووسوسة بالقلب ، كالمجتهد من المتعلقين .

والعبادة تحتاج إلى فراغ القلب والبدن لتحصيل حقها ، والفراغة لا تكون إلا للمتوكلين ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ **خلقكم ثم رزقكم** ﴾[1] تنبيها على أن الرزق من الله لا من غيره كالخلق ، ثم لم يكتف بالدلالة ، حتى وعد فقال : ﴿ **إن الله هو الرازق** ﴾[2] ، ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها** ﴾[3] ، ثم لم يكتف بذلك حتى أمر بالتوكل وأنذر وأبلغ فقال : ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت** ﴾[4] ، وقال عز وجل : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾[5] .

فمن لم يعتبر قوله ، ولم يلتفت لوعده ، ولم يطمئن قلبه بضمان الله ، ولم يقنع بقسمه ، ثم لم يبال بأمره ووعده ووعيده ، فانظر ماذا يكون حاله ، وانتبه أي محنة تجيء من هذا وهذه ، والله مصيبته شديدة ، ونحن منها في غفلة عظيمة ، وقد قيل إن الملائكة قالته عند نزول هذه الآية : ﴿ **فوربّ السماء والأرض** ﴾[6] هلك بنو آدم وأغضبوا الرب ، حتى أقسم لهم على أرزاقهم .

وعن أويس القرني : « لو عبدت الله عبادة أهل السماء والأرض لا يقبل

---

(١) الروم : ٤٠ .
(٢) الذاريات : ٥٨ .
(٣) هود : ٦ .
(٤) الفرقان : ٥٨ .
(٥) المائدة : ٢٣ .
(٦) الذاريات : ٢٣ .

الله منك حتى تصدقه ، قيل فكيف نصدقه ؟! قال تكون آمنا بما تكفل الله به من أمر رزقك ، وترى جسدك فارغاً لعبادته » .

وقد قال هرم بن حيان لأويس (ره) : [« أين تأمرني أن أقيم » ؟! فأومأ بيده إلى الشام . قال : « كيف المعيشة فيها » ؟! قال : « أف لهذه القلوب ، لقد خالطها شك فما تنفعها الموعظة »] .

وسئل بعض الصلحاء : هل سلِمت بإيمانك ؟! فقال : إنما يسلم الإيمان للمتوكلين .

نسأل الله أن يصلحنا بفضله ، ولا يؤاخذنا بما نحن أهله ، إنه جواد كريم ، فأنت إذا ذكرت ضمان الله وكماله في علمه وقدرته ونزاهته عن الخلف والسهو والعجز والنقص ، وواظبت على هذه الأذكار ، بعثك على التوكل في أمر الرزق لا محالة إن شاء الله ، ومن الله التأييد .

التفويض :

التفويض إنما يكون في موارد لا تعلم يقيناً أن لك فيها صلاحاً أو فساداً ، فليس لك أن تريدها قطعاً ، بل بالاستثناء ، وشرط الخير والصلاح . فإن قدرت إرادتك بالاستثناء فهو تفويض ، وإن أردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه .

فالتفويض هو إرادة أن يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر .

قال الله تعالى حكاية عن عبد صالح : **﴿ وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد * فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾**[1] ، فأعقب تفويضه الوقاية من

---

(١) غافر : ٤٤ ، ٤٥ .

الأسواء ، والنصر على الأعداء . وإنما يعينك على تحصيل التفويض، ذكر خطر الأمور وإمكان الهلاك والفساد فيها ، فإن الأمور بالعواقب مبهمة ، فكم من شر بصورة خير ، وكم من خير في صورة شر ، ومن ضر في حلية نفع ، وكم سم في هيئة شهد ، وأنت الجاهل بالعواقب والأسرار ، فإذا أردت الأمور قطعاً ، وأخذت فيها باختيارك محكماً ، فما أسرع ما تقع في هلاك وأنت لا تشعر ، ويعينك أيضاً على ذلك عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر ، والامتناع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك .

وأيضاً فإنك إن فوضت أمرك كله إلى الله تعالى ، وسألته أن يختار لك ما هو صلاحك ، وعلمت أنك لا تقع إلا في صلاح وخير ، فتكون آمنا من الخطر والمخافة ، مطمئن القلب في الحال ، بخلاف ما إذا كانت محظرة مبهمة ، لا تدري صلاحها من فسادها ، فتكون مضطرب القلب ، وذلك لأن الله عالم بالأمور بجميع جهاتها ، ظاهرها وباطنها ، حالها ومآلها، ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة** ﴾[1] ، فيختار لك بلطيف علمه ، وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك ، ولا يدركه فهمك ، وتشتغل أنت بشأنك الذي يعنيك ، فالمواظبة على هذه الأذكار ، تحملك على تفويض الأمور كلها إلى الله ، والتحفظ عن الحكم فيها ، والامتناع عن إرادتها ، إلا بشرط الخيار والصلاح إن شاء الله .

الرضا :

الرضا ترك السخط . قال الله تعالى : ﴿ **رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾[2] .

---

(١) القصص : ٦٨ .

(٢) المائدة : ١١٩ .

والسخط : ذكر غير ما قضى الله تعالى بأنه أولى به وأصلح له ، فيما لا يستيقن فساده وصلاحه ، وهو حرام منهي عنه .

ففي الحديث : « من لم يرض بقضائي ، ويصبر على بلائي ، ولم يشكر نعمائي ، فليخرج من أرضي وسمائي ، وليتخذ رباً سوائي »(٢) .

وفي الخبر ، أن نبياً من الأنبياء ، شكا ما ناله من المكروه إلى الله ، فأوحى الله سبحانه إليه : أتشكوني ولست بأهل ذم ولا شكوى ، أنت أهل الذم والشكوى ، هكذا شأنك في علم الغيب ، فلم تسخط قضائي عليك ، أتريد أن أغير الدنيا لأجلك ، وأبدل اللوح المحفوظ بسببك ، فأقضي ما تريد دون ما أريد ، ويكون ما تحب دون ما أحب ، فبعزتي حلفت : لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى ، لأسلبنك ثوب النبوة ، ولأوردنك النار ، ولا أبالي .

فليسمع العاقل هذه السياسة العظيمة ، والوعيد الهائل ، مع أنبيائه وأصفيائه ، فكيف مع غيرهم ؟! .

ثم ليستمع ما يقول : لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى ، فهذا في حديث النفس وتردد القلب ، فكيف بمن يصرخ ويستغيث ويشكو وينادي بالويل والصراخ من ربه الكريم المحسن على رؤوس الخلائق ؟! . ويتخذ له أعواناً واضحاً ، وهذا لمن سخط مرة ! ، فكيف بمن هو في السخط على الله تعالى في جميع عمره ، ولمن شكا لغيره ؟! نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

---

(٢) روى عن طريق المخالفين وقد ذكروا انه ضعيف ، المحجة ج ٨ . ص ٨٩ .

ويكفي في الرضا بالقضاء : **تأمل أصلين مقنعين** :

أحدهما : ما في الرضا من الفائدة في الحال ، والمآل .

أما فائدة الحال : ففراغ القلب وقلة الهم من غير فائدة ، فإنك إذا لم ترض بقضائه تكن مهموماً مشغول القلب أبداً ، بأنه لو كان كذا !! ولماذا لا يكون كذا ؟! . فأي موضع يبقى في قلبك لذكر الله والعبادة وفكر الآخرة ؟!

ونعم ما قيل : إن حسرة الأمور الماضية ، وتدبير الآتية ، قد ذهب ببركة ساعتك .

وقال نبينا صلى الله عليه وآله لابن مسعود : «ليقل همك ، ما قدّر يكون، وما لم يقدر لم يكن». هذا هو الكلام الجامع النبوي البالغ ، مع قلة اللفظ وكثرة المعنى .

وأما الفائدة في المآل : فثواب الله تعالى ورضوانه ، لقوله: ﴿ **رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾[1] وقال : ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾[2] . وما في السخط من الهم والحزن والعجز في الحال من الوزر والعقوبة في الآخرة بلا فائدة ، إذ القضاء نافذ لا ينصرف بهمك وسخطك ، كما قيل : ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبداً . وما هو كائن سيكون ما هو كائن في وقته . وآخر الجهالة متعب محزن ، فالعاقل لا يختار الهم بلا فائدة مع الوزر والعقوبة ، على راحة القلب وثواب الجنة .

الأصل الثاني : ما في السخط من الخطر العظيم والضرر والكفر

---

(١) المائدة : ١١٩ .

(٢) التوبة : ٧٢ .

والنفـاق ، إلا أن يتدارك الله بـرحمته ، فتـأمل قـوله تعـالى : ﴿ **فـلا وربـك لا يؤمنـون حتى يحكّمـوك فيـما شجـر بينهم ثم لا يجـدوا في أنفسهم حـرجـاً مما قضيت ويسلّمـوا تسليماً** ﴾[1] نفى الإيمـان وأقسم عمن سخط قضاء رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه ، فكيف حـال من سخط قضـاء الله سبحـانـه ، فقـل لنفسـك : يـا نفسي ﴿ **لن يصيبنـا إلا مـا كتب الله لنـا هـو مـولانـا وعـلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[2] .

ووطن قلبك على أن مـا يقضي الله فهو الأوفق لـك والأصلح ، ولما كـان ذلـك لا يبلغ علمنـا بكيفيتـه وسـره ، فقل يـا نفسي : المقـدر كـائن البتـة لا محـالة ، والهم فـاضل فـلا فائـدة في السخط، والخيرة فيـما صنـع الله ، فـلا وجـه للسخط ، ألست تقولين : رضيت بالله ربـاً وبـالإسلام دينـاً ؟ فكيف لا ترضـين بقضائه ، والقضاء من شأن الربوبية وحقها ؟!

ولقـد سئل بعض السلف:مـا المعبـود ؟! فقـال : (الـرب يقضي والعبـد يرضى ، فإذا قضى الرب ولم يرض العبـد ، فما هنـاك ربوبيـة ولا عبوديـة) . . فتأمل هذا وانظر لنفسك ، لعلك تسلم بعون الله .

الخوف والرجاء :

الخـوف رعـدة في القلب عـلى ظن مكـروه ينـالـه ، وفـائـدتـه أن يـزجـرك عن المعـاصي ، ويمنعـك عن العجب في الـطاعـات . والـرجـاء ابتهـاج في القلب ، بمعرفـة فضل الله وسعـة رحمته ، وفـائـدتـه أن يبعثـك عـلى الطاعة ، ويهون عليك احتمال الشدائد والمشقات فيها ، فإذا لم يـك لك سبيـل

---

(١) النساء : ٦٥ .

(٢) التوبة : ٥١ .

إلى الامتناع عن اليأس إلا به ، فهو فرض ، وإلا فهو نفل ، بعد اعتقادك جملة في فضل الله وسعة رحمته .

وطريقهما طريق عدل بين طريقين مهلكين : أحدهما : طريق الأمل ، والآخر : طريق اليأس . فإن غلب عليك الرجاء حتى فقدت الخوف البتة ، وقعت في طريق الأمن، ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾، وإن غلب عليك الخوف حتى فقدت الرجاء البتة وقعت في طريق اليأس، و﴿لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾فإن كنت بين الخوف والرجاء، واعتصمت بهما جميعا ، فهو الطريق العدل المستقيم الذي هو سبيل أولياء الله وأصفيائه ، الذين وصفهم بقوله عز وجل : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾[1] . وإنما المقدور منهما مقدماتهما ، ولكلٍّ أربع مقدمات ، أما مقدمات الخوف :

فالأولى : ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت ، وكثرة الخصوم الذين مضوا وأنت في مظالم المرتهن ، لم يتبين لك الخلاص بعد .

والثانية : ذكر شدة عقوبة الله التي لا طاقة لك بها .

والثالثة : ذكر كثير النعم التي أنعم الله عليك ، في أمور دينك ودنياك ، في الحال من أنواع الإمداد والألطاف ، من غير استحقاق وسؤال .

والرابعة : ذكر سعة رحمة الله وسبقها غضبه ، فإنه الرحمن الرحيم ، الغني الكريم ، الرؤوف بعباده المؤمنين .

فإذا واظبت على هذين النوعين من الأذكار ، أفضى بك إلى استشعار الخوف والرجاء بكل حال ، والله ولي التوفيق .

---

(١) الأنبياء : ٩٠ .

النية :

النية شرط في العبادات كلها ، ولا يصح شيء منها بدونها . قال النبي صلى الله عليه وآله : إنما الأعمال بالنيات ، وهي فرض في الفرائض نفل في النوافل . أفضلها ما تكون خالصة لله تعالى، لا يشوبها غرض آخر ، وبعدها ما يكون لطلب الجنة أو الخلاص من النار .

قال الصادق عليه السلام : « العباد ثلاثة : قوم عبدوا الله خوفاً فتلك عبادة العبيد ، وقوم عبدوا الله طمعاً فتلك عبادة التجار ، وقوم عبدوا الله حباً له فتلك عبادة الأحرار ، وهي أفضل العبادة »[1] .

أما إذا نوى الرّياء فقد أحبط عمله ، وصارت طاعته معصية .

كما أن المعصية تصير طاعة بالنية ، فكذلك المباحات تصير طاعات بالنيات ، فإنه ما من مباح إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات ، وينال بها أعظم الدرجات ، ويحتمل نية أو نيات يصير بها من أعظم المعاصي ، كما جاء في الحديث : « من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة »[2] .

وذلك لأن من تطيب مثلاً يوم الجمعة أو غيره من الأوقات ، فيمكن أن يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال على الأقران . ويقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ، ويذكر بطيب الرائحة كي يتوارد في قلوب النساء

---

(١) أصول الكافي ، ج ٢ ، ص ٨٤ ح ٥ .

(٢) راجع المحجة ج ٨ ص ١٠٥ . وقد أخرجه عن طريق المخالفين .

الأجنبيات إذا كان منهياً عن النظر اليهن ، أو لأمور أخرى لا تحصى ، وكل هذا يجعل الطيب معصية ، فبذلك يكون أنتن من الجيفة يوم القيمة .

ويمكن أن يقصد به اتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله يوم الجمعة ، وينوي به تعظيم المسجد واحترام بيت الله ، فلا يرى أن يدخله زائراً لله تعالى إلا طيب الرائحة ، وأن يقصد به وضع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مخالطيه ، وأن يقصد به حسم باب الغيبة على المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة ، فيعصون الله عز وجل بسببه ، فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية ، وأن يقصد به معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاءه ، ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر ، فقد قيل : من طاب ريحه زاد عقله ، إلى غير ذلك من النيات الحسنة ، وهذا كله طاعة يؤجر عليها ، وبذلك يكون أطيب ريحاً من المسك .

ويمكن أن يقصد به التلذذ والتنعم ، وهذا مباح وليس بمعصية ولا طاعة ، إلا أنه يسأل عنه ويحاسب عليه . ومن أوتي شيئاً من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ، ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره ، وناهيك خسراناً بأن تستعجل ما يفنى ، وتخسر زيادة نعيم يبقى ، ولهذا قال بعض السلف : « إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي الخلا » . .

وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به وجه الله ، لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن ، فهو معين على الدين ، فمن كان قصده من الأكل التقوّي على العبادة ، ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب أهله ، والتوصل به إلى ولد صالح يعبد الله فيكثر به أمة محمد صلى الله عليه وآله ، كان مطيعاً بأكله ونكاحه ، وأغلب حظوظ النفس الأكل والتزويج ، وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن تغلّب على قلبه همّ الآخرة .

والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها ، فقس على ما ذكر غيره .

وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : « إنما الأعمال بالنيات ، ولكل أمرىء ما نوى ، فمن كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أبدانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم »(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله : « إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة ، تلقى بين يدي الله عز وجل فيقول : ألقوا هذه الصحيفة ، فإنه لم يرد بما فيها وجهي ، ثم تنادي الملائكة : اكتبوا كذا وكذا ، فيقولون : يا ربنا إنه لم يعمل شيئاً من ذلك ، فيقول : إنه نواه »(٣) . وقال صلى الله عليه وآله : « الناس أربعة : رجل آتاه الله علما ومالاً يعمل بعلمه في ماله ، فيقول رجل : لو آتاني الله ما آتاه لعملت كما يعمل . فهما في الأجر سواء . ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله ، فيقول رجل : لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل ، فهما في الأجر سواء »(٤) .

ألا ترى كيف شركه في النية في محاسن عمله ومساوئه ، وإلى غير ذلك من الأخبار في هذا المعنى ، وهي كثيرة وافرة .

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٢ .
(٢) كنز العمال ، مجلد ٣ . ص ٢٢٥ ح ٥٢٦٢ .
(٣) راجع المحجة ج ٨ ص ١٠٣ وقد اخرجه عن الدارقطني .
(٤) سنن ابن ماجه ـ باب النية ، ح ٤٢٢٨ .

حقيقة النية والاستعانة عليها :

فليست النية هي قول الرجل في نفسه عند تدريسه مثلاً أو تجارته أو أكله ، نويت أن أدرس لله تعالى أو أتجر أو آكل ، ويظن أن ذلك نية ، هيهات هيهات ، فذلك حديث نفس أو حديث لسان أو فكرة أو انتقال خواطر ، والنية بمعزل عن جميع ذلك ، وإنما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيها غرضها ، إما عاجلاً وإما آجلاً .

والميل لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة ، بل ذلك كقول الشبعان : نويت أن أشتهي الطعام أو أميل إليه ، أو قول الفارغ : نويت أن أعشق فلاناً وأحبه وأعظمه بقلبي ، وذلك محال ، بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى شيء ، وميله إليه وتوجهه نحوه وقصده ، وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل خير ، وإذا اعتقد فإنما يتوجه إلى القلب إذا كان فارغاً غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه ، وذلك لا يمكن في كل وقت .

والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة ، وإنما يعينك على نية الخيرات تقوية الإيمان واعتقاد بالشرع ، وتعظيم الثواب وتغليب أمر الدين إلى القلب والاهتمام به ، والله الموفق .

الإخلاص

أنواع الإخلاص :

الإخلاص إخلاصان : ـ

١ ـ إخلاص العمل .

٢ ـ إخلاص طلب الآخرة .

فأما إخلاص العمل : فهو إرادة التقرب إلى الله تعالى ، وتعظيم أمره ، وإجابة دعوته . والباعث عليه الاعتقاد الصحيح ، وضده النفاق ، وهو التقرب من دون الله ، وهو محبط للعمل ، مخرج من كونه قربة مستحقاً عليها الثواب .

وأما الإخلاص في طلب الآخرة : فهو إرادة نفع الآخرة بعمل الخير .

تعريف الإخلاص وحقيقته :

وسئل نبينا صلى الله عليه وآله عن الإخلاص فقال : « تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت »(١) . أي أن لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك ، فتستقيم في عبادته كما أمرت . وهذه إشارة إلى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر ، وهو الإخلاص حقاً .

وضده النفاق ، وهو إرادة نفع الدنيا بعمل الآخرة ، وهو يخرج العمل عن القبول والأجر . قال أمير المؤمنين عليه السلام : [« لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول ، فإن النبي صلى الله عليه وآله قال لمعاذ بن جبل: «أخلص العمل يجديك منه القليل »](٢) .

وقال صلى الله عليه وآله : « ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »(٣) .

واعلم أن العمل الذي لم ترد به إلا الرياء فهو عليك قطعاً ، وهو سبب المقت والعقاب ، والذي لم ترد به إلا الله فهو لك قطعاً ، وهو رضوان الله

---

(١) راجع المحجة ج ٨ ص ١٣٣ وقد أخرجه عن طريق المخالفين .
(٢) ن . م ص ١٢٦ .
(٣) كنز العمال مجلد ٣ ، ص ٢٦ ، ح ٥٢٧١ .

والثـواب . وأما المشـوب بثوب الـريـاء أو حظ من حـظوظ النفس فقـد اختلف العلماء في كـونه لـك أو عليك ، أو لا لـك ولا عليك ، وقـال بعض محققيهم : إن كان البعث الديني مساوياً للباعث النفسي تقاوماً وتساقـطاً ، صار العمـل لا لـك ولا عليك ، وإن كـان الريـاء أغلب وأقوى فهـو عليـك ، نعم ، العقـاب الـذي فيه أخف من عقـاب العمل المجـرد للريـاء . وإن كـان شمـول التقـرب أغلب فلك ثـواب بقدر فـاضل من قـوة الباعث الـديني ، وهذا لقـوله تعـالى : ﴿ **فمن يعمـل مثقـال ذرة خيـراً يـره * ومن يعمـل مثقـال ذرة شـراً يـره** ﴾[1] ولقـولـه : ﴿ **إن الله لا يـظلم مثقـال ذرة** ﴾[2] ، فـلا ينبغي أن يضيـع قصـد الخير .

ولنقتصر عـلى هذا القـدر من بيان الفـرائض وإن شئت زيادة عـلى هذا أو بيان النوافل ومحاسن الأخلاق ، فارجع إلى كتابنـا المسمى : المحجة البيضـاء في تهذيب الأحياء .

* * *

---

(١) الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٢) النساء : ٤٠ .

٤ ـ باب معاصي القلب

تعريف عام :

معاصي القلب : هي صفاته المذمومة وأخلاقه الردية ، وهي في مقابلة الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة ، التي هي طاعات القلب ، وقد علمتها فقس هذه على تلك ، فرضها ونفلها ، فإن الأشياء تعرف بأضدادها .

فضد التوبة الإصرار ، وضد الشكر الكفر ، وضد الصبر الجزع ، وضد الزهد الحرص ، وضد التوكل حب الدنيا ، وضد التفويض الطمع ، وضد الرضا السخط ، وضد التسليم الحسد والاعتراض، وضد النية السهو والغفلة ، وضد الإخلاص النفاق الرياء .

وتعلم العلوم المحرمة كالكهانة والنجوم ، وهو بمنزلة الضد لتعلم العلوم الدينية الواجبة ، وكذلك العلوم المستحبة قبل الواجبة ، بل الواجبة الكفائية قبل العينية ، فإنه غير جائز ، إلا أن تقصد الاستعانة ببعض العلوم على بعض ، فتنبه لهذا ولا تكن من الغافلين، وضد الحكمة ، التي هي التوسط في القوة العقلية ، طرفاها المذمومان الجربزة والبله ، ويندرج تحتهما : الدهاء والغمارة والحمق والجنون ، وضد العفة الشره والخمود ، ويندرج تحتهما : الوقاحة والخبث والتبذير والتصير والزنى والهتكة والكزازة والمجانة والعبث

والتحاش والشكاسة والملق والحسد والشماتة .

وضد الشجاعة التهور والجبن ، ويندرج تحتهما : البذخ والبذالة والجسارة والنكول والتقبح وصغر النفس والهلع والاستشاطة والتكبر والتخاسر والعجب والمهانة .

فما يميل من المذكورات إلى جانب الزيادة ، فهو تحت الجربزة أو الشره أو التهور .

وما يميل إلى جانب النقصان فهو تحت البله أو الخمود أو الجبن ، وتفصيل ذلك وبيانه يطلب من كتب الأخلاق .

والفضيلة الحاصلة من التجنب عن هذه الرذائل والتحلي بالفضائل الثلاث تسمى بالعدالة . رزقنا الله الاتصاف بها وسائر المؤمنين.

الحسد والرياء والعجب :

ولنورد ما أفاده بعض العلماء في مهلكات هذه المعاصي التي هي أمهات لجملة من الخبائث . وهي الحسد والرياء والعجب .

قال رحمه الله : لا تظنن أنه يسلم إليك نية صالحة في تعلم العلم ، وفي قلبك شيء من الحسد والرياء والعجب .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : « ثلاث مهلكات ، شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه »[1] .

الحسد : أما الحسد فهو متشعب من الشح ، فإن البخيل هو الذي يبخل بما في يديه على غيره ، فالذي يبخل بنعمة الله ـ وهي في خزائن قدرة

---

(١) راجع المحجة ج ٦ ص ٢٧٢ .

الله لا في خزائنه ـ على عباد الله فشحة أعظم .

والحسود : هو الذي يشق عليه إنعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده، بمال أو علم أو محبة في قلوب الناس أو حظ من الحظوظ ، حتى أنه ليحب زوالها عنه وإن لم يحصل له ، وهذا منتهى الخبث ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[1] .

والحسود : هو المعذب الذي لا يرحم ، ولا يزال في عذاب دائم ، فإن الدنيا لا تخلو قط من خلق كثير من أقرانه ومعارفه ، ممن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه ، فلا يزال في عذاب دائم في الدنيا إلى موته ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر ، بل ولا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان ، ما لم يحب لسائر المؤمنين ما يحب لنفسه ، بل ينبغي أن يشارك المسلمين في السراء والضراء ، والمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضاً ، أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى منه سائر البدن ، فإن كنت لا تصادف هذا من قلبك ، فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات .

الرياء : وأما الرياء فهو شرك خفي ، وهو أحد الشركين ، وذلك طلبك المنزلة في قلوب الخلق ، لتنال بذلك الحشمة والجاه . وحب الجاه من الهوى المتبع المهلك ، وفيه هلك أكثر الناس ، ولو أنصفوا لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات ، فضلاً عن أعمال العبادات، ليس يحملهم عليها إلا مراءاة الناس ، وهي محبطات للأعمال ، حتى ورد في الأخبار أن الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار ، فيقول : يا رب استشهدت في سبيلك !

---

(1) الوسائل ، مجلد ١١ ، ص ٢٩٢ ، ح ١ وفي المصدر (إن الحسد يأكل الإيمان . . .) .

فيقال : أردت أن يقال شجاع ، فقد قيل : وذلك أجرك . ،كذلك يقال للعالم والحاج وللقارىء .

العجب : وأما العجب والكبر والفخر ، فهو الداء العضال ، وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام ، ونظره إلى غيره بعين الاحتقار ، ينتجه على اللسان أن يقول أنا وأنا ، كما قال إبليس اللعين : ﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾(١) وثمرته في المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر ، وفي المحاورة الاستنكاف من أن يرد كلامه عليه ، والمتكبر هو الذي إن وُعظ أنف وإن وَعظ عنف . وكل من رأى نفسه خيراً من أحد من خلق الله ، فهو متكبر متعال ، بل ينبغي أن يعلم أن الخير هو خير من عند الله في الدار الآخرة .

وذلك عيب وهو موقوف على الخاتمة . فاعتقادك في نفسك أنك خير من غيرك جهل محض ، بل ينبغي أن لا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك ، وأن الفضل له على نفسك .

فإن رأيت صغيراً قلت : هذا عبد الله تعالى ، ولم يعص الله وأنا عصيته فلا شك أنه خير مني .

وإن رأيت كبيراً قلت : هذا عبد الله تعالى قبلي .

وإن كان عالماً قلت : هذا أعطي ما لم أعط ، وبلغ مالم أبلغ ، وعلم ما جهلت ، فكيف أكون مثله .

وإن كان جاهلاً قلت : هذا عصى الله بجهل وأنا عصيت الله بعلم ، فحجة الله علي أوكد ، وما أدري بم يختم له .

---

(١) الأعراف : ١٢ .

وإن رأيت كـافـرا قلت : لا أدري عسى أن يسلم ويختم لـه بخير؟!، وينسل بإسلامه من ذنوبه كما ينسل الشعر من العجين ؟! وأمـا أنا فعسى أن يصلني الله فأكفر ؟! فيكون هو من المقربين وأنا من المبعدين .

ولا يخرج الكبر من قلبك ، إلا بأن تعرف بأن الكبير من هو كبير عند الله ، وذلك موقوف على الخاتمة ، وهو مشكوك فيه ، فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله . ويقينك وإيمانك في الحال لا يناقض تجويزك التغيير في الاستقبال ، فان الله مقلب القلوب ، يهدي من يشاء وينصر من يشاء .

والأخبار في الحسد والكبر والرياء كثيرة ، ويكفيك فيها حديث واحد جامع فاسمع :

روى ابن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ : يا معاذ حدثني حديثاً سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيقول بلى ، فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ، ثم سكت ، ثم قال :

سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لي : « يا معاذ ، إني محدثك بحديث إن أنت حفظته نفعك ، وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة » .

يا معاذ إن الله تعالى خلق سبع أملاك قبل أن يخلق السماوات والأرض ، فجعل لكل سماء من السبعة ملكاً بواباً عليها ، فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى أن أمسى ، إن له نوراً كنور الشمس ، حتى إذا طلعت به إلى السماء الدنيا ذكرته فكثرته . فيقول الملك للحفظة ، اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، أنا صاحب الغيبة ، أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري .

قال : ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد ، وتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية ، ويقول الملك الموكل بالسماء الثانية ، قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا ، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم .

قال : وتصعد الحفظة بعمل عبد يبتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة ، وقد أعجب الحفظة ، فيجاوزون إلى السماء الثالثة ، يقول لهم الملك الموكل بها : قفوا بهذا العمل واضربوا به وجه صاحبه ، أنا ملك الكبر ، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم .

قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري ، وله دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة ، حتى يجاوزوا به السماء الرابعة ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه ، أنا صاحب العجب ، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، إنه كان إذا عمل عملاً دخل العجب فيه .

قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد ، حتى يجاوزوا إلى السماء الخامسة ، كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، واحملوه على عاتقه ، أنا ملك الحسد ، إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله ، وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة ، كان يحسدهم ويقع منهم ، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري .

قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام ، فيجاوزون به السماء السادسة ، فيقول لهم الملك الموكل بها . قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، إنه كان لا يرحم إنسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر ، بل كان يشمت به ، أنا ملك الرحمة ، أمرني ربي أن لا

أدع عمله يجاوزني إلى غيري .

قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع ، له دوي كدوي النحل ، وضوء كضوء الشمس ، معه ثلاثة آلاف ملك يجاوزون به إلى السماء السابعة ، فيقول الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، اضربوا به جوارحه ، أقفلوا على قلبه ، إني حجبت عن ربي كل عمل لم يرد به ربي ، إنه إنما أراد بعمله غير الله ، إنه أراد به رفعة عند الفقهاء ، وذكراً عند العلماء ، وصوتاً في المدائن ، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، وكل عمل لم يكن لله خالصاً ، فهو رياء ، ولا يقبل الله عمل المرائي .

قال : وتصعد الملائكة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله ، وتشيعه ملائكة السماوات حتى يقطع الحجب كلها إلى الله عز وجل ، فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى ، فيقول عز وجل : إنهم الحفظة على عمل عبدي ، وأنا الرقيب على قلبه ، إنه لم يردني في هذا العمل وأراد به غيري ، فعليه لعنتي ، فيقول الملائكة كلها ، عليه لعنتك ولعنتنا ، وتقول السماوات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا ، وتلعنه السماوات السبع ومن فيهن .

قال معاذ : قلت : يا رسول الله صلى الله عليك ، أنت رسول الله وأنا معاذ !، قال : اقتد بي ، وإن كان في عملك نقص ، يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة القرآن ، واحمل ذنوبك عليك ، ولا تحملها عليهم ، ولا تزك نفسك بذمهم ، ولا ترفع نفسك عليهم ، ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ، ولا تتكبر في مجلسك ، لكي يحذر الناس من سوء خلقك ، ولا تناج رجلاً وعندك رجل آخر ، ولا تتعاظم على الناس ، ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار ، وقال الله

﴿ والناشطات نشطاً ﴾ ، تدري ما هي يا معاذ !

قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : كلاب في النار تنشط اللحم والعظم .

قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها ؟!

قال : يا معاذ ، إنه ليسير على من أيسر الله عليه . قال : فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث »[1] .

* * *

---

(١) الترمذي ، الترغيب والترهيب (وقال آثار الوضع ظاهره عليه) .

٥ ـ باب اداب الصحبة والمعاشرة

اعلم أن صاحبك الذي لا يفارقك في سفرك وحضرك ونومك ويقظتك ، بل في حياتك وموتك ، هو ربك ومولاك وسيدك وخالقك . ومهما ذكرته فهو جليسك إذ قال : « أنا جليس من ذكرني »[1] ، ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك في حق دينك ، فهو صاحبك وملازمك ، فلو عرفته حق المعرفة لاتخذته صاحباً وتركت الناس جانباً ، فإن لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك ، فإياك أن تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك ، وتتلذذ معه بمناجاتك .

وعند ذلك فعليك أن تتعلم أدب الصحبة مع الله عز وجل ، وأدبها إطراق الطرف ، وجمع الهم ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهي ، وقلة الاعتراض على القدر ، ودوام الذكر ، وملازمة الفكر ، وإيثارك الحق ، واليأس من الخلق ، والخضوع تحت الهيبة ، والانكسار تحت الحياء ، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان ، والتوكل على فضل الله ، ومعرفة بحسن الاختيار .

(١) عيون أخبار الرضا ، ج ٢ ص ٤٦ .

وهـذا كله ينبغي أن يكـون شعـارك في جميـع ليلك ونهارك ، فـإنـه أدب الصحبة مع صاحب لا يفارقك ، والخلق يفارقونك في بعض أوقاتك .

آداب الصحبة ـ إذا كنت عالماً :

فإن كنت عالماً ، فأدب العـالم سبعة : الاحتمـال ولزوم الحلم ، والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع إطـراق الرأس ، وتـرك التكبر عـلى جميع العبـاد إلا على الظلمة زجراً لهم عن الـظلم ، وإيثار التـواضع في المحـافل والمجـالس ، وترك الهزل والدعابة ، والـرفق بالمتعلم ، والتـأني بالمتعجـرف ، وإصلاح البليـد بحسن الإرشـاد ، وترك الحـرد والأنف من قـول لا أدري ، وصـرف الهمـة إلى السـائل وتفهم سؤالـه ، وقبول الحجـة والانقياد إلى الحق بـالـرجـوع إليـه عنـد الهفوة ، ومنع المتعلم من كـل علم يضره ، وزجـره عن أن يريـد بالعلم النـافع غـير وجه الله ، وصـد المتعلم أن يشتغل بفـرض الكفايـة قبل الفـراغ من فرض العـين ، وفرض عينـه إصلاح ظـاهره وبـاطنه بـالتقـوى ، ومؤاخـذة نفسـه أولاً بالتقوى ، ليقتدي المتعلم أولاً بأعماله ، ويستفيد ثانياً من أقواله .

قال مولانا زين العابدين عليـه السلام : « أمـا حق رعيتك بـالعلم ، فأن تعلم أن الله تعـالى إنمـا جعلك قيـماً لهم فيـما آتاك من العلم ، وفتـح لـك من خـزائنـه الحكمـة ، فـإن أحسنت في تعليم النـاس ولم تخـرق بهم ، ولم تـزجـر عليهم ، زادك الله من فضله ، وإن أنت منعت النـاس علمـك أو خـرقت بهم عند طلبهم العلم منك ، كـان حقاً عـلى الله أن يسلبك العلم وبهـاءه ، ويسقط من القلوب محلك »(١) .

---

(١) من لا يحضـره الفقيه ج ٢ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ . (في المصـدر : وفتح لـك من خـزائنـه ، فإن . .) و (ولم تضجر عليهم) .

آداب الصحبة ـ إذا كنت متعلماً :

وإن كنت متعلماً ، فأدب المتعلم مع العالم ، أن يبدأه بالتحية والسلام ، وأن يقل بين يديه الكلام ، ولا يتكلم مالم يسأله ، ولا يسأل مالم يستأذن أولاً ، ولا يقول في معارضته قولة : قال فلان خلاف ما قلت ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه ، فيري أنه أعلم بالصواب من أستاذه ، ولا يسارّ عليه في مجلسه ، ولا يلتفت إلى جوانب بل يجلس متأدباً مطرقاً ، كأنه في الصلاة ، ولا يكسر عند ملاله ، وإذا قام قام له ، ولم يتبعه بكلامه وسؤاله ، ولا يسأل في طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله ، ولا يسيء الظن به في أفعال ظاهرها منكر عنده ، فهو أعلم بأسراره ، وليتذكر عند ذلك قول موسى للخضر عليهما السلام : ﴿**أخرقتها لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئاً إمراً**﴾[1] . وكونه مخطئاً في أفكاره اعتمادا على الظاهر .

آداب الصحبة ـ إن كان لك والدان :

فإن كان لك والدان ، فأدب الولد مع الوالدين أن يستمع كلامهما ويقوم لقيامهما ، ويمتثل أمرهما ، ولا يمشي أمامهما ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ويلبي دعوتهما ، ويحرص على طلب مرضاتهما ، ويخفض لهما الجناح ، ولا يمن عليهما بالبر لهما ، ولا بالقيام بأمرهما ، ولا ينظر إليهما شزراً ، ولا يقطب وجهه في وجهيهما ، ولا يسافر إلا بإذنهما .

قال سيد العابدين عليه السلام : « وأما حق أمك فأن تعلم أنها حملتك ، حيث لا يحتمل أحد أحداً ، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً ،

---

(١) الكهف : ٧١ .

ووقتك بجميع جوارحها ، ولم تبال أن تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك ، وتعرى وتكسوك ، وتضحى وتظللك ، وتهجر النوم لأجلك ، ووقتك الحر والبرد لتكون لها ، وإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه . وأما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك ، ولولاه لم تكن ، فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك ، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه ، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلا بالله »[١] .

آداب الصحبة ـ مع المجاهيل والأصدقاء والمعارف :

اعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقك ثلاثة : إما أصدقاء وإما معارف وإما مجاهيل .

القسم الأول : المجاهيل :

فإن بليت بالعوام المجهولين ، فأدب مجالسة العامة ترك الخوض في حديثهم ، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم ، والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم ، والاحتراز من كثرة لقائهم والحاجة إليهم ، والتنبيه على منكراتهم باللطف . والنصح عند رجاء القبول منهم .

القسم الثاني : الإخوة والأصدقاء :

فعليك في خقهم وظيفتان :

الوظيفة الأولى : شروط الصحبة والصداقة :

أولاً : أن تطلب شروط الصحبة والصداقة ، فلا تؤاخ إلا من يصلح

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ، ص ٣٧٨ .

للأخوة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله « المرء على دين خليله »[1] ، فلينظر أحدكم من يخالل ، فإذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم وصاحباً في أمر دينك ودنياك ، فراع فيه خمس خصال :

الأولى : العقل ، فلا خير في صحبة الأحمق ، فإنّ صحبته في آخر الأمر الوحشة والقطيعة ، فأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك ، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ولا تصحب أخا الجاهل وإياك وإياه ، فكم من جاهل أردى حكيماً حين آخاه ، يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه ، وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه ، وللقلب على القلب دليل حين يلقاه » .

الثانية : حسن الخلق ، فلا تصحب من ساء خلقه ، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة ، وقد جمع ذلك (علقمة العطاردي) في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة فقال : إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإذا صحبته زانك ، وإذا قعد بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى منك سيئة سدها ، اصحب من إذا قلت سدق قولك ، وإذا حاولته أمراً آمرك ، وإذا تنازعتما أمراً آثرك .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن أخاك الحق من كان معك ، ومن يضر نفسه لينفعك ، ومن إذاريب زمان صدعك، شتت شمله ليجمعك » .

الثالثة : الصلاح ، فلا تصحب فاسقاً مصراً على معصية كبيرة ، لأن من

---

(١) أصول الكافي ج ٢ ، ص ٣٧٥ ، ح ٣ .

يخاف الله لا يصر على كبيرة ، فمن لا يخاف الله لا تؤمن مماثلته بل يتغير بتغير الأغراض . قال الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وآله : ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه** ﴾[1] .

فاحذر صحبة الفاسق والفسق ، فإن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام يزيل عن قلبك وقع المعصية ، ويهون عليك أمرها ، ولذلك هان على القلوب معصية الدابة ، لإلفهم لها ، ولو رأوا خاتماً من ذهب أو ملبساً من حرير على فقيه لأشتد إنكارهم لذلك، والغيبة أشد من ذلك .

الرابعة : أن لا يكون حريصاً على الدنيا ، فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل ، لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء ، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري ، فمجالسة الحريص تزيد في حرصك ، ومجالسة الزاهد تزيد فى زهدك .

الخامسة : الصدق ، فلا تصحب كذاباً ، فإنه منك على غرور ، وهو مثل السراب ، يقرّب منك البعيد ويبعد عنك القريب .

حال فقدان الشروط الخمسة : ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال في مكان المدارس والمساجد ، فعليك بأحد أمرين : إما العزلة والانفراد ففيه سلامتك ، وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم ، بأن تعلم أن الإخوة ثلاثة :

أخ لآخرتك فلا ترع فيه إلا الدين ، وأخ لدنياك فلا ترع فيه إلا الخلق ، وأخ تستأنس به فلا ترع فيه إلا السلامة من شره وخبثه .

والناس ثلاثة ، أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه ، والآخر مثله

---

(١) الكهف : ٢٨ .

مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت ، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط . ولكن العبد قد يبتلى به ، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع ، فيجب مداراته إلى الخلاص ، وفي مشاهدته فائدة عظيمة إن وقعت لها ، وذلك أن تشاهد من خباثة أخلاقه ما تستقبحه ، فالسعيد من وعظ بغيره ، والمؤمن مرآة أخيه المؤمن .

وقيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟! فقال : ما أدبني أحد ، رأيت جهل الجاهل فجانبته . ولقد صدق صلوات الله عليه .

فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدب .

الوظيفة الثانية : مراعاة حقوق الصحبة :

فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة ، فعليك حقوق توجبها عند الصحبة ، وفي القيام بها آداب .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى »(١) .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله أجمة فاجتنى منها سواكين ، أحدهما معوج والآخر مستقيم ، وكان معه بعض أصحابه فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج ، فقال : يا رسول الله ، إنك أحق بالمستقيم مني ، فقال صلى الله عليه وآله : « ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من نهار إلا وسئل من صحبته : هل أقام فيه حق الله تعالى أو أضاعه »(٢) .

(١) راجع المحجة ج ٣ ص ٢٨٥ وقد أخرجه عن طريق المخالفين .
(٢) المحجة ، ج ٣ ، ص ٣٢٨

وقال صلى الله عليه وآله : « ما اصطحب اثنان قط إلا وكان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه »[1] .

فأدب الصحبة الإيثار بالمال ، فإن لم يكن فبذل الفضل من المال عند الحاجة ، والإعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير إحواج إلى الالتماس ، وكتمان السر وستر العيوب ، والسكون عن تبليغ ما يسوء من مذمة النّاس إياه ، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه ، وحسن الإصغاء عند الحديث ، وترك المحاورات فيه ، وأن يدعوه بأحب أسمائه إليه ، وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه ، وأن يشكره على صنيعه في حقه ، وأن يذب عنه في غيبته إذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه ، وأن ينصحه باللطف والتعريض إذا احتاج إلى ذلك ، وأن يعفو عن زلته وهفوته ولا يعتب عليه ، وأن يدعو له في حياته وبعد مماته ، وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته ، وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئاً من حاجاته فيروح سره عن مهماته ، وأن يظهر الفرح بجميع ما يتاح له من مسراته ، والحزن بما يناله من مكارهه ، وأن يضمر مثل ما يظهر ، فيكون صادقاً في وده سراً وعلناً ، وأن يبدأه بالسلام عند إقباله ، وأن يوسع له في المجالس ، وأن يخرج له من مكانه ، وأن يشيعه عند قيامه ، وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه ، ويترك المداخلة في كلامه .

وعلى الجملة : فيعامله بما يحب أن يعامله به ، فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فأخوته نفاق ، وهو عليه في الدنيا والآخرة وبال ، فهذا أدبك في حق العوام المجهولين ، وفي حق الأصدقاء المؤمنين .

---

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٦٦٩ ، ح ٣ .

فاحذر منهم فإنك لا ترى الشر إلا ممن تعرفه . أما الصديق فيعينك . وأما المجهول فلا يتعرض لك . وإنما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم ، فأقلل من المعارف ما قدرت ، فإذا بليت بهم في مدرسة جامعة أو مسجد أو بلد أو سوق ، فيجب أن لا تستصغر منهم أحداً ، فإنك لا تدري لعله خير منك ، ولا تنظر بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك ، لأن الدنيا صغيرة عند الله وصغير ما فيها ، ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك ، فقد سقطت عن عين الله ، وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال دنياهم ، فلم يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم ، ثم حرم ما عندهم ، وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة ، فلا تطيق مكافأتهم ، ويذهب دينك فيهم ، ويطول عناؤك معهم .

ولا تسكن إليهم في إكرامهم إياك ، وثنائهم عليك في وجهك ، وإظهارهم المودة لك ، فإنك إن طلبت حقيقة ذلك ، لم تجد في المائة واحداً ، فلا تطمع أن يكونوا لك في العلن والسر واحداً ، ولا تتعجب إن سلبوك في الغيبة ولا تغضب منهم، فإنك إن أنصفت وجدت من نفسك مثل ذلك ، حتى في أصدقائك وأقاربك ، في أستاذك ووالديك ، فإنك تذكرهم في الغيبة بما لا تشافههم به ، فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم ، فإن الطامع في الأكثر خائب في المآل ، وهو ذليل لا محالة في الحال ، فإذا سألت واحداً حاجة فقضاها فاشكر لله تعالى، وإن قصر فلا تعاقبه ، ولا تشكه فتصير عداوة ، وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب ، فقل لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه ، ولا تفطن أحداً منهم مالم تتوسم أولا مخايل القلوب فيه ، وإلا لم يسمع منك ، وصار خصما عليك ، وإذا أخطأوا في مسألة ، وكانوا يأنفون من التعلم من كل أحد فلا تعلمهم ،فإنهم يستفيدون

منك علماً ، ويصبحون لك عدواً ، إلا إذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل ، فاذكر الحق بلطف من غير عنف ، وإذا رأيت منهم كرامة وخيراً فاشكر الله الذي حببك إليهم ، وإذا رأيت منهم شراً فكلهم إلى الله عز وجل ، فاستعذ بالله من شرهم ولا تعاتبهم ، ولا تقل لهم لم تعرفوا حقي ، وأنا فلان ابن فلان ، وأنا الفاضل في العلوم ، فإن ذلك كلام الحمقى ، وأشد الناس حماقة من يزكي نفسه ويثني عليها .

واعلم أن الله لا يسلطهم عليك إلا لذنب سبق منك ، فاستغفر الله من ذنبك ، واعلم أن ذلك عقوبة من الله لك ، وكن فيما بينهم سميعاً لحقهم ، أصمّ عن ظلمهم ، نطوقاً بمحاسنهم ، صموتاً عن مساوئهم .

واحذر مخالطة متفقهة الزمان ، لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدال منهم ، فإنهم يتربصونك - لحسدهم - ريب المنون ، ويقطعون عليك بالظنون ، ويتغامزون وراءك بالعيون ، ويحصون عليك عثراتك في عشرتهم ، حتى يهجوك بها في غضبهم ومناظرتهم ، لا يقبلون لك عثرة ، ولا يغفرون زلة ، ولا يسترون عورة ، يحاسبون على النقير والقمطير ، ويحسدون على القليل والكثير ، ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان ، إن رضوا فظاهرهم الملق ، وإن سخطوا فباطنهم الحق ، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب . هذا ما قطعت به المشاهدة في أكثرهم ، إلا من عصمه الله ، فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان ، هذا حكم من يظهر لك الصداقة ، فكيف من يظاهرك بالعداوة . احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة ، فلربما انقلب الصديق عدواً ، فكان أبصر بالمضرة .

ولذلك قيل : عدوك من صديقك مستفاد ، لا تستكثر من الصحاب ، فإن الداء أكثر ما تراه ، يكون من الطعام والشراب .

أو كما قال هلال بن العلاء البرقي :

« لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من هم العداوات
إني أحب عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيّات
وأحسن السر للإنسان أبغضه ... كأن قلبي مملوء مرارات
ولست أسلم ممن لست أعرفه ... فكيف أسلم من أهل المودات
الناس داء ، دواء الناس تركهم ... وفي الجفاء لهم قطع الأخوات
فخالقِ الناس واصبر ما بقيت لهم ... أصم أبكم أعمى ذا تقيات » .

وصية أحد العلماء في الموضوع :

« الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذله لهم ، ولا هيبة منهم ، وتوقر في غير كبر ، وتواضع في غير مذلة ، وكن في جميع أمورك في أوسطها ، فكلا طرفي قصد الأمور ذمتهم[1]، ولا تنظر في عطفيك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، وإذا جلست فلا تستوفِزنّ ، وتحفّظ من تشبيك أصابعك ، والعبث في لحيتك وخاتمك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال أصابعك في أنفك ، وكثرة بصاقك وتنمك ، وطرد الذباب عن وجهك ، وكثرة التمطي والتثاؤب في وجه الناس وفي الصلاة وفي غيرها ، وليكن مجلسك وحديثك منظوماً مرتباً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك بغير إظهار تعجب مفرط ، ولا تسأله إعادته ، واسكت عن المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك ، وكلامك وتصنيفك وسائر ما يخصك ، ولا تصنع كما تصنع المرأة في التزين ، ولا تتبذل تبذل العبد ، وتوقّ كثرة الكحل والإسراف في الدهن ، ولا تلحّ في الحاجات ، ولا تشجع أحداً على الظلم ، ولا تعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك ، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ قط رضاهم ، واجفُهم من غير عنف ، ولِن لهم من غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط

---

(١) هكذا وردت (الناشر) .

وقـارك ، وإذا خـاصمت فتـوقـر فتحفظ من جهلك وعجلتـك ، وتفكـر في حجتـك ، ولا تكـثر الإشـارة بيـدك ، ولا تكـثر الالتفـات إلى من وراءك ، ولا تجثُ عـلى ركبتيك ، وإذا هـدأ غضبك فتكلم ، وإن كـان قـربـك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإياك وصديق العافية ، فإنه أعـدى الأعداء ، ولا تجعـل مالك أكرم من عرضك .

فهـذا يـا فتى يكفيـك في الابتـداء ، فجـرب بهـا نفسـك ، فـإنها ثـلاثـة أقسام :

قسم في أداء الـطاعـات ، وقسم في تـرك المعـاصي ، وقسم في مخـالـطة النـاس ، وهي جامعـة بمجمل معـاملة العبـد مـع الخـالق والخلق ، فـإن رأيتهـا مناسبة لنفسك ، ورأيت قلبك مائلاً إليهـا ، راغباً في العمـل بها ، فـاعلم أنك عبـد نوّر الله بـالإيمان قلبـك ، وشرح لـك صـدرك ، وتحقق أن لهـذه البـدايـة نهاية ، ووراءها أسرار وأغوار وعلوم ومكاشفات ، فاشتغل بتحصيلها .

وإن رأيت نفسـك تستقل العمـل بهذه الـوظائف ، وتتـرك هـذا الفن من العلم ، وتقول : إنما ينفعك هذا العلم في محـافل العلماء ، وحتى يقـدمك هـذا عـلى الأقران والنـظراء ، وكيف يـرفـع منصبـك في مجـالس الأمـراء والـوزراء ، ليوصلك إلى الصلة وولاية الأوقاف والقضاء ، فـاعلم أن الشيطان قـد أغواك ، وأنساك متقلبك ومثواك ، فاطلب شيطاناً مثلك ، ليعلمك ما تـظن أنه يـوصلك إلى بغيتـك . ثم اعلم أنـه ـ قط ـ لا يصفـو لـك الملك في محلتـك ، فضـلاً عن قـريتك وبلدتـك ، ثم يفـوتـك بـه الملك القـديم والنعيم الـدائم في جـوار رب العالمين

هـذا ملخص مـا أفـاده بعض العلماء في هـذا المقـام ، والسـلام عـلى من اتبع الهدى .

* * *

خاتمة

قال بعض العلماء : أيها الحريص على العلم ، المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش ، إنك إن كنت تقصد بطلب العلم المناقشة والمباهاة والتقدم على الأقران ، واستمالة وجوه الناس ، وجمع حطام الدنيا ، فأنت ساع في هدم دينك وإهلاك نفسك ، وبيع آخرتك بدنياك ، فصفقتك خاسرة ، وتجارتك بائرة ، ومعلمك معين لك على عصيانك ، وشريك لك في خسرانك ، وهو كبائع سيف إلى قاطع طريق ، ومن أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكاً فيها .

وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى ، من تعلم العلم الهداية به بدون مجرد الرواية ، فأبشر ، فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت ، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت .

واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال .

رجل طلب العلم ليتخذ زاده إلى المعاد ، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة ، فهذا من الفائزين .

ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاملة ، وينال منالعز والمال ، وهو عالم بذاك مستشعر في قلبه ركاكة حاله ، وخسة مقصده ، فهذا من الخاطئين ،

ومن الحمقى المغـرورين ، فـإن عـاجله أجله قبـل التـوبـة خيف عليـه سـوء الخـاتمة ، وبقي أمـره في خطر المشيئـة ، فإن وفق للتـوبـة قبـل حلول الأجـل ، وأضـاف إلى العلم العمل ، وتـدارك ما فـرط من الخلل ، التحق بالفـائـزين ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

ورجل ثالث : استحوذ عليه الشيـطان ، فاتخـذ علمه ذريعـة إلى التكاثـر بالمال ، والتفاخر بالجاه ، والتعزز بكثرة الأتبـاع ، يدخـل بعلمه كـل مدخـل ، رجاء أن يقضي من الدنيـا وطره ، وهـو مع ذلـك يضمر في نفسـه أنه عنـد الله بمكـان ، لاتّسامـه بسمة العلماء ، وتـرسّمه بـرسومهم في الـزي والمنـطق ، مـع تكـالبـه عـلى الـدنيـا ، ظـاهـرا وبـاطنـاً ، فهـذا من الهـالكـين ، ومن الحمقى المغرورين ، إذ الرجاء منقطع به عن توبته ، لظنـه أنه من المحسنـين ، وهو ممن قـال فيهم رسول الله صـلى الله عليه وآلـه:« أنا-من غـير الدجـال-أخـوف عليكم من الـدجال ، فقيـل وما هم ؟! قـال : العلماء السـوء » . وهـذا لأن الـدجـال غايته الإضلال .

ومثل هذا العالم يصرف النـاس عن الدنيـا بلسانـه ومقالـه ، وهو داع لهم إليها بأعماله وأحواله وأفعـاله . ولسـان الحال أنـطق من لسان المقـال . فطبـاع النـاس إلى المساعـدة في الأعمال أميـل منها إلى المتـابعة في الأقـوال ، فما أفسـده هذا المغرور بـأعمالـه أكثر ممـا أصلحه بـأقوالـه ، اذ لا يستجرىء الجـاهل عـلى الرغبة في الدنيا ، إلا بـاستجراء العلماء ، فقـد صار علمـه سبباً لجـرأة عباد الله عـلى معاصيـه . ونفسه الجـاهلة مع ذلـك تمنيـه ، وتـدعـوه إلى أن تمن عـلى الله بعلمه ،وتخيل أنه خير من كثير من عباده .

فكن أيهـا الـطالب من الفـريق الأول ، واحـذر أن تكـون من الفـريق الثاني ، فكم من مستوف عاجله الأجل قبـل التوبـة فخسر . وإياك ثم إيـاك أن تكـون من الفريق الثـالث ، فتهلك هـلاكـاً ، فـلا يـرجى فـلاحـك ولا ينتـظر

صلاحك .

انتهى كلامه أعلى الله مقامه ورفع الله درجاته .

هـذا انتهاء منهـاج النجاة ، الحمـد لله فـاعـل الخيـرات ، والصـلاة عـلى محمد وآله أفضل الصلاة وأكمل التحيات .

* * *

المصادر

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ الاختصاص للشيخ المفيد
٣ ـ الأمالي للشيخ الصدوق
٤ ـ بحار الأنوار للعلامة المجلسي
٥ ـ التوحيد للشيخ الصدوق
٦ ـ الخصال للشيخ الصدوق
٧ ـ صحيح البخاري
٨ ـ صحيح مسلم
٩ ـ عيون أخبار الرضا للصدوق
١٠ ـ الكافي ط ١٣٨٨ .
١١ ـ كنز العمال
١٢ ـ مجمع الزوائد .
١٣ ـ مستدرك الحاكم
١٤ ـ مسند أحمد
١٥ ـ معاني الأخبار للشيخ الصدوق
١٦ ـ مكارم الأخلاق
١٧ ـ مفتاح الجنات

١٨ ـ من لا يحضره الفقيه

١٩ ـ وسائل الشيعة

٢٠ ـ نهج البلاغة .

هـذا واستخدمنـا المحجة البيضـاء في تهـذيب الأحيـاء واسـطة إلى بعض المصادر في جملة أحاديث نادرة .

* * *

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

الموضوع **الصفحة**

منشوراتنا

- ميزان الحكمة ١٠/١ - محمدي الري شهري
- زبدة الكافي ٣/١ - تحقيق الشيخ محمد باقر البهبودي
- تهذيب الأصول ٢/١ - السيد عبد الأعلى السبزواري
- تحرير الوسيلة ٢/١ - سماحة آيه الله العظمى الإمام الخميني
- الاسلام ومنطق القوة - السيد محمد حسين فضل الله
- الزواج في الإسلام وانحراف المسلمين عنه - مجيد الصيمري
- الأئمة الاثنا عشر - دراسة تحليلية - عادل الأديب
- المشكلة الاجتماعية المعاصرة - الشهيد سيد نوري طعمة
- الدفاع الشرعي في الشريعة الاسلامية - الدكتور داود العطار
- نفقات الزوجة في التشريع الإسلامي - الشهيد الشيخ عارف البصري
- عبقات الأنوار في الأئمة الأطهار - حامد حسين الكهنوى
- دراسات في نهج البلاغة - الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- التبرك: تبرك الصحابة والتابعين بآثار النبي علي الأحمدي
- عاشوراء ١٤٠٢ هـ - الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- النص والاجتهاد - السيد عبد الحسين شرف الدين - تحقيق وتعليق أبو مجتبى
- ملائكة الغيب قادمون - الشيخ علي كوراني.
- المراجعات - الإمام عبد الحسين شرف الدين - تحقيق وتعليق أبو مجتبى
- انصار الحسين - الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- العدل الإلهي - الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- التوازن في الإسلام - محمد علي التبسخيري
- دروس من الشورة الإسلامية في إيران - محمد مهدي الأصفي
- علي والفلسفة الإلهية - السيد محمد حسين الطباطبائي
- الجهاد الأكبر - سماحة آية الله العظمى الامام الخميني
- مسألة الحجاب - للشهيد مرتضى المطهري
- الذنوب الكبيرة ٢/١، للشهيد عبد الحسين دستغيب
- مناسك الحج وهل هي وثنية - حسن شحادة
- التقويم بين تراث وثورة - نور باقر تقي
- الحسين مدرسة الأجيال - عبد العظيم المهتدي البحراني
- الدفاع عن المواقع الأيديولوجية الإسلامية ٣/٢/١
- مبادىء التربية الإسلامية - عبد الزهراء عثمان محمد
- نظرية السياسة والحكم في الإسلام - السيد محمد حسين طباطبائي
- المسلم صلاة وثورة - الشيخ زهير كنج
- الاسراء والمعراج - بنظرة عصرية - دراسة وتحليل - علي عسيلي
- المرآة مع النبي في حياته وشريعته - الشهيدة بنت الهدى
- النبي الأميّ - الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- دعبل الخزاعي - حسين موسى
- الإيمان حقيقة وهدف ! بسام مرتضى
- مناسك الحج - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- بحث علمي تحقيقي حول أولي الأمر والولاية - السيد أحمد الفهري
- الاعلام اليهودي - الشيخ عبد الله حلاق
- الجهاد والتغيير - الشيخ عبد الله حلاق
- السلام بعد تحرير القدس - الشيخ محمد طحيني
- شهر الله - الشهيد السيد عبد الحسين دست غيب
- الصلاة - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الحكومة الإسلامية - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني

- القادة الأبرار ١/١٤ مع علبة
- رواد الفداء ١/١٠ مع علبة
- البقرات الثلاث - قصة
- العصافير الصغيرة والفيل - قصة
- الديك والقطط - قصة
- مشاهد النور - للأطفال - عبد الحليم خضرا
- شمعة السحر (صلاة الليل) سماحة آية الله السيد أحمد الفهري
- الرياء والعجب - سماحة آية الله السيد أحمد الفهري
- زبدة الأحكام - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- خلاصة الاعتقاد - محسن عطوي
- أساس الحكومة الإسلامية - كاظم الحائري
- الحياة السياسية للإمام الجواد (ع) - السيد جعفر مرتضى
- دليل الداعي في أيام الأسبوع وشهر رمضان المبارك

كتب وصلت حديثاً

- معجم مقاييس اللغة ١/٦ تحقيق عبد السلام محمد هارون
- كتاب البيع ١/٥ - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- طبقات إعلام الشيعة ١/٤ - آغا بزرك الطهراني
- رسائل أخوان الصفا ١/٤ أخوان الصفا
- المكاسب المحرمة ١/٢ سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الافصاح في فقه اللغة ١/٢ - حسين موسى - عبد الفتاح الصعيدي
- مفتاح كنوز السنة - ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي
- رجال الخاقاني - الفقيه الشيخ علي الخاقاني
- جواهر البلاغة - السيد المرحوم أحمد الهاشمي
- تعليقة شيقة على شرح منظومة السبزواري
- كتاب الصلاة - الشيخ عبد الكريم الحائري (غلاف)

- مكاتيب الرسول - علي الأحمدي
- أساس البلاغة - الإمام الزمخشري
- كتاب الزكاة - آية الله العظمى الشيخ حسين علي منتظري
- بداية الحكمة - العلامة السيد محمد حسين طباطبائي
- دراسات في علم النفس الإسلامي - الدكتور عبد الرؤوف عبد الغفور
- دروس من القرآن - محسن قراءتي (مجلد)
- فلاح السائل - السيد رضى الدين بن طاوس
- الممهدون للمهدي - الشيخ علي كوراني
- حقوق المرأة في النظام الإسلامي - الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر - سماحة آية الله العظمى الشيخ منتظري
- التعليقات لابن سينا - تحقيق الدكتور عبد الرحمن البدوي
- علم الأصول - علي الفاضل القائيني
- مبادىء الوصول إلى علم الوصول - العلامة الحلي
- معجم مؤلفي الشيعة - الفاضل القائيني النجفي
- قدوة الفقهاء - سيرة حياة آية الله العظمى المنتظري

كتب تحت الطبع تصدر قريباً

١ - دروس في التفسير - لسماحة السيد الفهري.
٢ - التوبة والعفو الإلهي - للسيد طاهر أبو رغيف
٣ - قصص أطفال - مجموعتان - مع علبة
٤ - نهاية الأصول - مجلد - تقريرات آية الله المنتظري عن السيد البروجردي
٥ - قصص الأنبياء للناشئة والفتيان - مع علبة
٦ - المرأة في التصور الإسلامي - الشيخ محسن عطوي (طبعة جديدة منقحة ومزيدة).
٧ - الدّليل على موضوعات نهج البلاغة